الدكتور علي جواد الطاهر

منهج البحث الأدبي

ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب

مطبعة العاني - بغداد

١٩٧٠

الدكتور علي جواد الطاهر

منهج البحث الأدبي

ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب

مطبعة العاني ـ بغداد

١٩٧٠



منهج البحث الأدبي



المقدمة

لم نسمع بأى شيء يمت الى « منهج البحث » يوم كنا فى الثانوية ، ويسمع الطالب فى الغرب الشيء الكافى عنه ، ويفهم منه اشياء ويقوم منه بأشياء .. وقد يقرأ كتابا موجّها فى متناول طاقته وحاجته .

وفى عام ١٩٤١ دخلنا « دار المعلمين العالية ـ بغداد » فلم نسمع به ، وكان لدينا ـ فى السنة الاولى ـ أستاذ يدرسنا « الادب » معتمداً ما يختلسه من كتاب اسمه « التوجيه الادبى » . وقد اكتشفنا سرقته وضحكنا به فى سرنا .

واذ حان العصر وحل درس التاريخ القديم طلع علينا الاستاذ طه باقر فأكبرناه منذ الدرس الاول ، وبدأ الاستاذ يمهد لدرس التاريخ محاولاً ان ينقل الينا أطرافاً من مادة شغلت الغرب فوعاها : هل التاريخ علم ؟ وتحدث لنا فى ذلك غير قليل عارضاً طبيعة المسألة ، مبيّنا آراء المعارضين والمؤيدين ، حتى انتهى الى أن التاريخ علم بالطريقة التى يتبعها فى بحثه وتحريه الحقائق .

ويبدو أن ذلك كان فوق متناول حضارتنا . واننا لم نكن من سعة الافق بحيث نتوسع بالموضوع فنشمل بالتاريخ الادب ونسائل : هل الادب علم ؟ أو هل البحث فى تاريخ الادب علم ؟ لم نفعل ذلك ولم نحاوله ولم يدر منا بخلد .

وفي درس اسمه « علم النفس » عُنينا عناية خاصة بالطريقة العلمية بما فى خطواتها من فرضية وتجربة ونظرية ...

ثم مرت سنوات ثلاث درسنا خلالها مواد متنوعة من الادب واللغة والتاريخ والتربية ... وطلب الينا القيام بعدة بحوث ـ كنا نسميها تقارير ـ أديناها على ما أعقب الرضا ، وفينا من سرق أو نقل وفينا من استعان بغيره ، ولم نعدم من اعتمد نفسه ولكن الحاصل لديه قليل لان البحث لم يكن أمراً مهماً ، ولم يكن أساساً وقد تغني عنه نظرة الاستاذ الى تلميذه ، وكان غالب ما يفترض من البحث أن يطّلع الطالب على شيء ما بأي اسلوب ، ولا باس في ان يُهمَل بعد ذلك ... وكان للكمية أي لحشر المعلومات وقع خاص .

وكنت أرى لدى زملائنا فى قسم التاريخ كتاباً استغربت عنوانه : « مصطلح التاريخ » كانوا يكثرون من حمله بأيديهم كأنه مقرر عليهم . ولم أحاول ان اسألهم مدلول العنوان ، كما أنهم لم يدلوا على انهم ينظرون الى مادة هذا الكتاب نظرهم الى شيء مهم .

ورأيت فى «المكتبة» كتابا اسمه : « علم التاريخ » ترجمة عبدالحميد العبادى ، ولكنى لم أحاول أن اقرأ فيه ، او انى قرأت شيئا فلم أجد ما يشجع على الاستمرار .

وقرأنا المقدمة المسهبة التى كتبها طه حسين لكتابه « فى الادب الجاهلى » بما فيها الحديث عن ديكارت والشك وعمن يريدون ان يجعلوا من الادب علما كالكيمياء ... ولكننا قرأناها لذاتها ولا ندرى كم استوعبنا منها وكم نقدنا عليها .

وكنا نرجع فى بعض « التقارير » الى المصادر وان كان الذين يرجعون قليلين جدا ، وانهم يرجعون رجوعا ذاتيا لرغبة خاصة فيهم . وقد يوجد من الاساتذة من يعنى بالمصادر فى اعداد بحثه ، ولكنا لاحظنا مبكراً أن تلك المصادر لم تكن دائما المادة التى ينبثق عنها البحث ، وانها قد تتخذ وسيلة للبرهنة على رأي سابق .

وكان للدكتور البصير منهج خاص فى الاعداد والعرض والمناقشة .. والامتحان ... لم نوله حظا من العناية ولم نشعر بأنه منهج .

ان مسألة « المنهج » لم تكن لتمر منا بخاطر ...

* * *

ثم كانت « القاهــرة » ، وكانت كلية الآداب فيها تخصص للبحث درجة برأسها ويشترط فى الطالب ان يقدم بحثين فى كل سنة . والمبدأ جيد ، ولكن العبرة بالتنفيذ وما يساعد على حسن التنفيذ . ثم كيف يبحث طالب لا يعرف أن يبحث ؟ ولم يسمع بالمنهج ؟

أشهد ان أحد الاساتذة قرأ البحث ، ولكنه قرأه لنفسه فلم يُعِده الى الطلبة ولم ينبههم على الجيد والرديء . اما الأخران ، فاكتفى الاول بأن القى نظرة على البحث عند تسلمه ، فاستطاله وقال مستغربا : أهو رسالة ماجستير !؟ وانتهى الامر ولم ادر مصيره . وكان عنوانه « أبو نواس فى مصر » ؛ واكتفى الثانى بأن ضم البحث الى أمثاله ونقله الى بيته ، وانتهى الامتحان ورغبت فى أن أحصل على بحثي وسألت وألححت واخيرا عرفت عنوان البيت فأخرجت لي أوراقي كما هى لم تمسسها يد فاختطفتها فرحا بعودتها الى قواعدها سالمة .

* * *

ثم جاءت مرحلة باريس . وماذا يأخذ طالب عربي فى باريس ؟ أو بمعنى أدق ، من المستشرقين ؟ انه لا يأخذ ـ أول ما يأخذ ـ لغة عربية ، ولا علما بمادة عربية ولا فهما لنص عربي ... اذاً لم هذه المشقة ؟ انه يأخذ منهج البحث ، ويعينه تعلمه لغة أجنبية على سعة الافق والاطلاع على ما ينفعه فى تخصصه وقد يأخذ اكثر من ذلك من أدب القوم وفكرهم ...

كثيرا ما تردد السؤال وجوابــه . وكلاهما وارد وصحيــح ، ولكن الملاحظ على كثير من العرب الطارئين على ديار الغرب : البحث عن ورقة .

وبدأنا نعد العدة ونقابل بين هذا الاستاذ وذاك ، ولا أطيل ، فقد بلغنا مستشرقا اسمه بلاشير ، واذا بلغت بلاشير فقد بدأت تقترب من منهــج البحث واصوله فهو يناقش فى الموضــوع الذى يمكن ان يكــون عنوانا لرسالتك ، وفى مصادره ثم يطلب اليك ان تقدم خطته ...

واذا كنت ممن لا يعتمد الا نفسه رأيت قساوة ووقعت في شدة ، ولا بأس ، فان ذلك يعلمك أكثر ويحملك على ارضاء هـذا الاستاذ العنيف الذى لا يرضيه غير المنهج فان له خبرات فيه وان لديه منه حظاً وافرا . وسيحملك خوفك منه على ان تحضر دروسه وان تصغى الى توجيهاته . فاذا كنت راغبا فى البحث ، مستعدا له ، مختارا اياه طريقا فى الحياة زاد فهمك للمنهج واتسع مجالك .

ثم ان له ـ بالاشتراك مع مستشرق آخر ـ كتيبا بعنوان « قواعد لتحقيق ... النصوص العربية » . تقرءه ، وتستوعبه ، وهو على قلة صفحاته وعلى انه فى التحقيق ، ينفعك فى التأليف ويشعرك ان المسألة مسألة دقة وقواعد أصبحت مقررة وليست أمـــورا « يبتكرها » الاستاذ مرة و « يبتكرها » الطالب مرة أخرى .

وتبدأ العمل ، وتلم بهذا الكتاب أو ذاك ممــا ألف بالفرنســية فى موضوع فرنسى فتحس بالرصانة والمتانة والحذر والدقة ؟ وتستمع الى هذا الاستاذ أو ذاك من أساتذة السوربون فى الادب الفرنسى ، والسعيد الذى تهيأ له ان يندس فى صفوف طلبة الاستاذ پيير مورو فرأى البحث اخلاصا وعمقا .. وشخصية و « بلاغة » .

المسألة ، اذاً ، اخطر مما نتصور ، وأن الغرب كما سبقنا في الصناعة والحضارة ... سبقنا فى شىء آخر اسمه الطريقة ... أو منهج البحث ، وقد يكون الامر متكاملا مترابطا . ولم لا ؟

أشهد أن البحث القائم على المنهج مظهر حضارى جليل .

* * *

وتعود الى الوطن سنة ١٩٥٤ ، وترى الطلبة فى دار المعلمين العالية يكلفون بالبحث دون يزوّدوا بالضرورى من المنهج ثم ان كثرتهم فى العدد تحول ـ فيما يحول ـ دون قراءة بحوثهم وتوجيههم فى ضوء هذه القراءة ؟ ولا تبقى ـ بعد ذلك ـ للبحث أهمية أو دلالة أو فائدة ...

وعليك ان تعمل ما تستطيع ، ومن ذلك توجيهات عامة فى البحث قبل البدء بالبحث فى تاريخ الادب ، ومنه استغلال فقر من درس « النقـــد

الادبى » لها علاقــة بالبحث ، وفى مقدمة تلك الفقر : الخطة ، والبناء ، والفرق بين الانشاء والتعليم ...

ويسمح منهج كلية الآداب بما هو اكثر من ذلك ، ثم يسمح اكثر بعد ان أدخل عليه درس باسم : البحث ، تخصص له ســـاعة واحدة في الاسبوع ، يزود خلالها الطلبة بالضرورى جدا من مواد المنهج ثم يزاولون البحث عمليا .

* * *

وتغادر الى جامعة الرياض سنة ١٩٦٣ وتجد فى مواد المنهج ما يسمح لك بتحويله الى منهج بحث وبحث ؛ ويجرى تغيير جذرى فى مواد الدراسة وتجد ساعة طريقها الى منهج البحث وما يبين أهمية هذا التخصيص نظريا وعمليا ، يساعد على ذلك قلة عدد الطلاب فى الصف .

واستدعت ظروف معينة ان تملى على الطلبة خلاصة لمادة الدرس بلغت أكثر من ستين صفحة مركزة يمكن ان تبعث استاذ المادة على ان يعيد النظر فيها قليلا ويزيد فيها ما كان ناقصا ويشرح ما كان غامضا ويفصّل ما كان موجزا ... ينشرها فى كتاب يمكن ان ينتفــع به وأن يوفر عليــه وعلى الطلبة الوقت الذى يضيع فى الاملاء وشرح ما يســتطيع أن يقــرأه طالب ويفهمه من دون وسيط . وزاد الامر اغراءً ما لحظه على الطـلاب من اهتمام جدّي بالدرس ومن نتائج ملموسة .

أجل ، دراسة « منهج البحث » نافعة ، وقد أصبحت ـ مع الزمن ـ ضرورة ، لان البحث يكوّن أهــمَّ مقياس للمعنى الجــامعى . والدرس يوجه ويثقف ، واذا لقي طالبا « موهوبا » فى هذا المجال هيّأ للبلد باحثــه المنتظر . على ان أخطر ما فى الموضوع ان يصبح الدرس غاية ، ومنهج البحث غاية ؛ وحينئذ يجر الباحث او استاذ المادة الى الضحالة أو الجمود أو « الشكلية » .

* * *

وتعود الى الوطن ثانية سنة ١٩٦٧ وتزداد ثقــة ، حتى اذا وجدت

منفذا الى تدريس طلبتك « منهج البحث » رأيت اهتمام الطلبة بالدرس ، واذ حانت فرصة أخرى كان هذا الدرس بين المواد على الوجه الرسمي •

وترجع الى أوراقك ودفاترك ، المبيّض منها والمسوّد تضيف اليها ما جدّ لك بالتجربة أو بالمطالعة معتزما ان تجعل منها كتيبا يبيّن للطالب أهمية البحث والمنهج وما يلزم فيهما ، ويأخذ بيده ويسير واياه خطوة خطوة منذ البداية حتى النهاية ، منذ الدفتر المساعد واختيار الموضوع والخطة والجذاذات الى المسوّدة والمبيّضة ••• والطبع ؛ متوخيا الوضوح والسهولة ، عامدا الى ان يكوّن الكتيب من الامر هيكله العظمى ، يغذيه بما يمكن ان يثير من التفكير ويزيد فى الثقافة ، آملا ان يكون دليلا وصديقا يسد حاجة الطالب الآنية اذا لم يرد اكثر من ان يكتب بحثا للنجاح فقط ، وينبه امكانات الطالب الطامح ليرى فيها ما يمكن ان يكون عليه فى المستقبل •

وحاول المؤلف فى كتيبه هذا عن المنهج الاّ ينسى القديم وهو يقتبس الحديث ، ولا ينسى العرب وهو يأخذ عن الغرب ••• غير مفرّط بتجاربه الخاصة ـ على أى حال • ولكي تتم للطلبة الفائدة اذا ما أرادوا الاستزادة بقراءة فى كتب أخرى ، حرص المؤلف على ان يزود هؤلاء الطلبة أهم المصطلحات مقرونة ـ حيث يأتى بها السياق ـ بما يقابلها باللغة الانكليزية والفرنسية (بين قوسين عادة) • ثم ذيل الكتاب بقوائم مختلفة لكتب عربية ومترجمة الى العربية وانكليزية وفرنسية فى منهج البحث أو ما يتصل به ، وفى أصول التحقيق وما اليها •

اننا لا نستغنى كثيرا عن المصطلحات الغربية والمراجع الغربية لان هذا الفن ـ فى جملته ، وكما هو اليوم ـ غربي أخذناه عن الغرب ، وانا اذ نستعمل كلمات مثل : المنهج ، البحث ، الخطة ، الموضوع ، المصدر ، الجذاذة ••• التحرير ••• انما نستعمل كلمات أخذناها عن الغرب وأوجدنا لها ترجمات معتمدين ثقافتنا او الرجوع الى المعجمات القديمة للوقوف على صلة رابطة بين كلمة عربية ومصطلح غربى • ولاشك فى ان الذين أخذوا على عاتقهم ذلك قد وفقوا فى كثير مما ذهبوا اليه • ولكننا لا نفهم هذه الكلمات التى صارت مصطلحات عربية فى استعمالنا العلمي

بالرجوع الى قواميسنا القديمة لانها ليست الاصل فى التحديد والتعريف ؛ ان الاصل فى ذلك ، الكلمات الغربية كما يحددها الغرب فى جامعاته وقواميسه وكتبه واستعماله اليومى .

* * *

وكان من الممكن ان يحمل هذا الكتيب اكثر من اسم : دليل الباحث. دليل الطالب الى البحث . منهج البحث العلمي . كيف تبحث ؟ كيف تكتب بحثا ؟ منهج البحث . المنهاج فى البحث . مصطلح الأدب ... ويمكن أن تكون هذه الاسماء ذات مدلول واحد . الا ان المؤلف اختار ما كثر جريانه على الالسن فى الدرس : « منهج البحث » ، وزاد عليه « الادبي » . وهو اذ يحس بكلمة « الادبي » خصوصا بموضوعات تاريخ الادب ، فقد يرى فى كلمتى « منهج البحث » ان ينتفع بكتيبه هذا طلبة البحوث اللغوية والتاريخية والجغرافية وما اليها من مواد التاريخ الحضارى بأعلامها وعصورها وموضوعاتها ــ وكان هذا جزءًا من قصده لدى التاليف .

لقد اقترح بعض الاخوان حذف كلمة « الادبي » من العنوان خشية أن تتخذ دليلاً على المغالاة فى التخصص فتحول دون ان يفيد منه أهل الدراسات غير الأدبية .

واننا اذ نقول « منهج البحث الأدبى » ، فاننا لا ندّعي حصر الأدب كلّه ، عامه وخاصه ، بهذا العنوان ؛ لأن ادّعاء مثل هذا خروج عن المنهج ، وانك لا تستطيع أن تحصر كل شيء وأن تحيط بكل شيء ، فلكل ميدان خاص طبيعته ومشكلاته لا يصعب على المُزوَّد بالعموم حسن التصرف فى خصوصها .

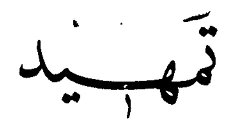
انك لا تستطيع أن تحصر ... ولا تريد ، لأنه لابد من أن يترك للطالب مجال يعرب فيه عن شخصيته ازاء المواقف الجديدة .

وقد يلاحظ محبو الأدب الحديث وطالبو درسه أو تدريسه أن نصيبهم من « منهج البحث الادبى » قليل ــ أو قليل جداً ــ والملاحظة صحيحة ، ويمكن أن يسجل أمثالها المعنيّون بميادين خاصة أخرى . ويعرف السبب

في ذلك اذا تذكرنا أن المألوف في البحث الجامعي الاختصاص بالقديم والمصادر القديمة ، وعلمنا أن الكتاب – أيّ كتاب – يرسم الخطـوط العامة ؛ وأن الأدب الحديث والأمور الاخرى تدخل في هذه الخطوط وتنتفع بمدارها العام •

لقد بذلنا فى سبيل تأليف « منهج البحث الأدبي » غير قليل من الجهد والوقت فى التجربة والاطلاع والتفكير ، والتسويد والتبييض • وما كنا لنصرح بهذا لولا اننا نريد القول انه لابد من أن يكون قد فاتنا شيء أو أشياء ، وأن نكون قد نظرنا الامور من زاوية اهتمامنا دون عناية تذكر بزوايا اهتمام الآخرين • وهذا يعني الترحيب بملاحظات الاساتذة والقراء والطلبة للعمل على ايفائها حقها لدى أول فرصة تسنح •

بغداد – كلية الآداب **أيلول ١٩٧٠**



المنهج The method (La méthode=) فى أبسط تعريفاته واشملها : طريقة يصل بها انسان الى حقيقة •

ولابد من ان يكون الانسان قد اكتشف المنهج مبكراً بحكم ما له من ذكاء وما يجتاز من صعاب وما يحمله على الوصول الى نتائج ويعينه على ادخار خبراته واستغلال هذه الخبرات فيما يجد عليه من مواقف • ولكنه كان ساذجا وفرديا ، ثم تقدم كلما تراكمت التجارب واتسع الاجتماع •• ان المنهج يوفر عليه كثيرا من الجهد والعناء ، ويسّهل مهمته فى العيش •

ثم خطا خطوة أخرى عندما كانت له حضارة وثقافة وصور شتى من المعرفة والعلم • ولا يمكنك ان تتصور الحضارات الاولى فى العراق ومصر والصين – مثلا – من دون منهج ومناهج ••• حتى اذا كان الاغريق كان منهج وكانت الكلمة نفسها بمعنى « البحث أو النظر او المعرفة »[1] وقد حفظتها الكتابة وحفظت أصولا منها واموروا اليها • ولكل فيلسوف كبير منهجه •

---

(١) ينظر عبدالرحمن بدوى – مناهج البحث العلمى ٣ ، ٤ – ١٨ • وجاء فى كتاب الدكتور عثمان امين – ديكارت (ط ٤ ، القاهرة ١٩٥٧) ص ٧٥ « تميز القرن السابع عشر بـ ••• عناية المفكرين فيه بالمنهج أو الطريقة الواجب اتباعها في البحوث العقلية • والواقع ان الكتب في المنهج كثيرة فى ذلك العصر ، وخصوصا ابتداء من سنة ١٦٢٠ : ففى ذلك =

ويسير الزمن ، ويتقدم الفكر الانساني ويكثر الفلاسفة والعلماء فيزداد الامر وضوحا ورسوخا ويزداد على التليد طريف ، وتتضح من المنهج انواع بمقتضى العلم الذى يقصد اليه ويصير جزءًا من المنطق • ويعد القرن السابع عشر من العصور المهمة فى تاريخ الكلمة • ويكفى ان يذكر الباحثون ـ فيمن يذكرون ـ علمين كبيرين هما : بيكون Bacon (١٥٦١ - ١٦٦٢) وديكارت Descartes (١٥٩٦ - ١٦٥٠) ، وينصون على طريقين فى العلم الصرف : الاستدلالى فى الرياضيات ، والتجريبى فى الطبيعيات[١] • وبلغ الامر من اعلاء مكانة الطريقة ان قال ديكارت : « خير للانسان ان يعدل عن التماس الحقيقة من ان يحاول ذلك من غير منهج »[١]•

ولكانت Kant (١٧٢٤ - ١٨٠٤) مكانته فى « علم المنهج » methodology (méthodologie=) الذى هو جزء من المنطق يدرس مناهج المعرفة المختلفة ومناهج العلوم بخاصة[٢] • ولنتذكر اننا هنا فى القرن الثامن عشر : عصر النور كما يسميه الفرنسيون •

واذا كانت هذه الميادين فلسفية ، وفى الفلسفة المثالية بخاصة ، فقد بدأت تقوى ميادين للفلسفة المادية وتشتد وتناهض ويكون لها منطقها ومنهجها فى هذا المنطق لبلوغ المعرفة واقرارها •

وكان القرن التاسع عشر مخاضا كبيرا ، ولم تقف المسألة عند الفلسفة

= التاريخ ظهر كتاب « الارجانون الجديد » لفرنسيس بيكون (ويعنى به المنطق الجديد novum organum) **وبعد ذلك بنحو سبع عشرة** سنة نشر ديكارت « المقال فى المنهج » ، وفى ذلك العصر ايضا نشر « اسبينوزا » رسالته فى « اصلاح الذهن » كما أصدر « تشرنهاوس » كتاب « طب العقل » ونشر فلاسفة « پور رويال » منطقهم المشهور المسمى « فن التفكير » ، ونشر « مالبرانش » كتاب « البحث عن الحقيقة » وكتب « ليبنتز » مصنفا من عدة رسائل نجد فى عنوان بعضها لفظ « المنهج » •

(١) من كتاب « قواعد لهداية العقل » ـ ينظر كتاب الدكتور عثمان أمين ـ ديكارت ص٧٨ •

(٢) هذا هو التعريف العلمى للمثودولوجى • وليس من الدقة أن نستعملها لتعني المنهج أي منهج ، لان لهذه الاخيرة كلمتها الخاصة بها ـ كما رأينا ـ وهى المثود method .

والعلوم الصرف • فقد بدأت معارف أخرى ـ بعيدة عنها جوهرا ـ تسعى لان تقترب منها وتنتسب اليها وتندس فيها كأنها تنظر بذلك الى ما ستناله من رفعة وما تستضيفه من مجد • واذ بلغ العلم شأوا باذخا كان كثير من أصحاب الدراسات التى لم تكن يوما ما علما او من العلم ينظرون فى صفاته ويتأثرون به وتخالجهم الخطرات لان يكون علما هذا الذى يزاولونه وينسب الى الخرافة حينا والى الخيال حينا •••

وكان المؤرخون من هؤلاء • واشتد الجدل وطل واستنفد فى ذلك كثيرا من الاحاديث وكثيرا من الاقلام والورق ، وألقيت المحاضرات وأقيمت المناظرات وألفت الكتب ؛ فمن قائل : التاريخ قصة والقصة انشاء أدبى ، والانشاء فن • ومن السخف ان نرى فى « التاريخ علما بالمعنى الصحيح » و « ان العلم ، بالغاً ما بلغ ، لا يعطينا من التاريخ سوى العظام المعروقة اليابسة » ••• ومن قائل : « ان التاريخ علم لا اول ولا اكثر »[١] •

ثم تهدأ العاصفة وتعتدل النظرة فاذا بالعين ترى انه يمكن ان يكون للتأريخ شىء من العلم ، نعم ، ان التاريخ ليس علما كالهندسة او كالفيزياء ، ولكن يمكن ان يكون له شىء من طريقة البحث فى العلم الصرف فى الجمع والاستقصاء والنقد والتصنيف وطلب الحقيقة ؛ وشىء من صفات العالم الطبيعى فى الموضوعية والحياد ؛ أو ليست الجيولوجيا علما ؟[٢] •

يطمئن عدد كبير من الناس الى هذه النتيجة ، وتؤيد النظرية بالعقل ؛ فقد بدأ المؤرخون يقلعون عن شطحات الخيال والقاء الكلام على عواهنه وراحوا يناقشون وينقدون وينتفعون بالمخطوطات ويحققون هذه المخطوطات ، ويرجعون الى السجلات ويعنون بهذه السجلات •

بل انهم جمعوا تجاربهم فى هذه الطريقة وسجلوا سبلهم فى التأليف فكان من ذلك ، مقالات وكتب فى المنهج الجديد ، منهج البحث

---

(١) ينظر هرنشوا ١ ـ ٤ ، طه باقر ـ مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ، مطبعة العانى (مطبوعات دار المعلمين العالية) ١٩٥١ •
(٢) هرنشو ١٠١ ـ ، طه باقر ـ مقدمة •

فى التـاريخ[1] • واذا كـان قد أطلق على منهـج العـلوم الرياضية : الاستدلالى ، وعلى منهج العلوم الطبيعية : التجريبى ؛ فقد رؤى ان يطلق على منهج الدراسات التاريخية : الاستردادى ، وعرف بأنه « الذى نقوم فيه باسترداد الماضى تبعا لما تركه من آثار ، أيا كان نوع هذه الآثار »[2] •

وهكذا اقترب التاريخ من العلم وابتعـد عن الادب • ولا شـــك فى انه ربح بذلك كثيرا وهو يبتغي بلوغ حقيقة من الحقائق • وقد خطت اوربا ـ فى ذلك ـ خطوات هائلة بدأتها المانيا ثم فرنسـا ثم انكلترة ••• وأمريكا • وأحرز الوصف الجديد للتاريخ نصرا متلاحقا فى الجامعات ، وكان ان أخذ الاساتذة يوجهون الطلبة الى البحث العلمى فى التاريخ ، بل انهم ادخلوا درسا جديدا اسمه : منهج البحث التاريخى ، ووضعوا له فى ذلك الكتب المناسبة •

واذا استطاع المؤرخ ان يحقق هذا النصر المؤزر ، بدأ الباحث فى الادب يتأثر بما تأثر به وينحو نحوه ،••• وان النصر الذى احرزه العلم الصرف لابد من ان يدخل الى نفوس أهل الادب ••• أجل وكان أن قيل : ان البحث فى الادب علم أيضا ، له ما له ، وكما كان فى العـــلم « نظرية تطور » يمكن ان تكون فى الادب ، وكما كان فى العلم « البيئة والجنس والعصر » يمكن ان يكون فى الادب ••• ومنهم من سار ـ مأخوذا بانتصارات العلم فى القرن التاسع عشر ـ الى المبالغة فى علميـة الادب ••• ومنهم من اعتدل فاعترف بأن الادب ليس كالهندسة او الكيمياء ولكنه تاريخ من التاريخ أو كالتاريخ ، ان للباحث الادبى اشياء من طريقة العلم واشياء من صفاته • ولم لا ؟ ان عليه ان يجمع ويستقصي وينقـد ويبوب ليصل الى الحقيقة المبتغاة •

انك ، لكى تدرس أدبا أو عصرا أو اديبا ، لا تدرس النص مجردا ، وانما تدرسه مع ما يحيط به من مظاهر الحياة العامة والخاصة •• وتدرس هذا كما يدرس التاريخ ، وقد أصبح التاريخ نوعا خاصا من العلم ، فيجب ان تصبح الدراسة الادبية كذلك • وهكذا كان ، فنشرت المقالات وأثيرت

---

(١) من الكتب المهمة فى ذلك كتاب لانجلوا وسنيبوس •

(٢) بدوى ـ مناهج ١٩ •

المجادلات ، لان ذلك لا يمكن ان يمر ـ والمسألة مسألة أدب أي فن وذوق ـ من دون اعتراض وتطرف في الاعتراض ، واذا قال قائل : الادب علم أو من العلم ، قال آخر : الادب انطباع[1] .

ولكن قافلة علمية الدراسة الادبية سارت ، وسادت ووجد « تاريخ الادب » وصار درسا معترفا به في الجامعات لـه أساتذته ، ولـه كتبه ، وتوجيهات مقررة في منهج البحث الادبي لم تلبث ان كانت رسـائل ... ودروسا خاصة .

وحين كتب لانسون « منهج البحث في تاريخ الادب » سنة ١٩٠١ قال في مفتتح مقاله : « ليس المنهج الذي أحاول ان أعطي فكرة عنه من ابتكاري ، وما هو الا نتيجة لتفكيري في الخطة التي جرى عليها عدد من من سابقيّ بل واللاحقين من الناشئين »[2] .

ثم قال : « واذن ، فمنهجنا هو في صميمه المنهج التاريخي ، وخير اعداد لطالب الآداب هو أن يطيل التفكير في «المقدمة للدراسات التاريخية» التي وضعها « لانجلوا » و « سينيوبوس » أو في الفصل الذي كتبه « جبرييل مونو ... »[3] .

واذ يقرر لانسون هذا ، فانما يعني التقاء في الخطوط العـامة بين منهج البحث التاريخي ومنهج البحث الادبي . اما في الخطوط الخاصـة فهناك اختلاف لابد من الاعتراف به ولابد من أخذه بنظر الاعتبار . ولا غرو أن قال لانسون نفسه : « ثمة فروق هامة بين المادة العادية للتأريخ بمعنـاه الدقيق ومادتنا ، وعن تلك الفروق تنشأ فروق في المنهج » .

« موضوع التاريخ هو الماضي ، ماض لم تبق منه الا أمارات او انقاض بوساطتها يعاد بعثه . وموضوعنا نحن ايضا هو الماضي ، ولكنه ماض باق ، فالادب من الماضي ومن الحاضر معا ... نحن في موقف مؤرخي الفن ،

---

(١) ينظر كتاب الدكتور محمد مندور ـ في الادب والنقد ـ القاهرة (مطبعة لجنـة التأليف والترجمـة والنشر) ١٩٤٩ ، ص ١١ ـ ١٧ ، ص ٨٥ ـ ٩٤ .

(٢) لانسون ـ منهج البحث في الادب . ترجمة الدكتور محمد مندور ص١٦ .

(٣) المصدر السابق ١٩ .

مادتنا هى المؤلفات التى أمامنا والتى تؤثر فينا كما كانت تؤثر فى أول جمهور عرفها • وفى هذا ميزة لنا وخطر علينا • وهى بعد حالة خاصة يجب ان تلاقيها وسائل خاصة فى منهجنا •••

••• وبهذا تتميز دراستنا عن الدراسات التاريخية الأخرى ، ويتضح أن التأريخ الادبى ليس علما صغيراً من العلوم المساعدة للتاريخ ••• »[1]•

وجاء بعد لانسون آخرون فى فرنسة وغير فرنسة ، كتبوا ووجهوا وألفوا ••• ولكن كلام لانسون بقى قاعدة ثابتة جليلة ••• وكلما تعددت الدراسات وتعقدت كثرت الكتب التى تعلم الطلبـــة البحث وتدلهم على السبيل اليه •

* * *

هذا طرف من المنهج فى تاريخ الغرب ، ولم يكن تاريخ العرب ليخلو من مادة للمنهج وحسبك ان تذكر اهل الحديث ••• ثم أهل التاريخ ••• والادب والتراجم ••• والفلسفة ، فيما نصوا عليه من قواعد او مما يمكن ان تستنبطه استنباطا ، وفيما بنوا به كتبهم فى الجمع والنقد او فى التبويب على الجزء والباب والفصل ••• وفيما سلكوه فى مذاهبهمالعقلية او النقلية •

ولكننا ، مع هذا ، لم نبدأ المنهج فى العصر الحديث من حيث انتهى العرب ، وانما بدأنا من حيث انتهى به الغرب ••• وحيث درسناه فى الغرب وعدنا به الى بلادنا •

وقد يكون من حسن الحظ ان يفتح باب منهج البحث عندنا استاذ كأسد رستم فيعرف كيف ينهج وكيف يحفظ ما للعرب وهو يحفظ ما للغرب • ولنستمع اليه وهو يقدم كتابه فى منهج البحث الذى سماه « مصطلح التاريخ » ويقول :

« لما عدت من جامعة شيكاغو سنة ١٩٢٣ وباشرت عملى فى جامعة بيروت توليت تدريس علم المثودولوجية فيها • وأول ما عملته أنى أخذت أجمع أهم المؤلفات التى تدور حوله فتوفر لدىّ عدد منها فى اللغـــات الاجنبية • ولكنى لم اعثر على شىء فى العربية ، فصممت آنئذ ان الافى هذا الفراغ وأكتب شيئا فى هذا الموضوع •

(١) المصدر السابق ٢٠ ـ ٢١ •

ورأيت ان أتريث فى الامر فأبدأ بتدريس الموضوع بلغة أجنبية ريثما تتوفر لديّ الامثلة التأريخية المحليـــة والاصطلاحات الفنية العربيـــة • فاضطررت أن أرجع الى مصطلح الحديث لسببين أولهمـــا الاســـتعانة باصطلاحات المحدّثين والثانى ربط ما أضعه أول مرة فى اللغة العربية بما سبق تأليفه فى عصور الائمة المحدّثين »[١] •

وقد فعل وجوّد ، فكان رائدا وأكثر من رائد •• وتلت الجامعـــة الأميركية فى بـيروت جامعـات عربيـــة ••• وتلا الدكتور أسـد رسـتم مؤلفون عرب آخرون ••• وسيظل الباب مفتوحا ، والمؤلفات تتوالى ••• والخبرات تتجدد •

* * *

واذ بيّـن أسد رستم ما فى الحديث (والتفسير) من مادة لطالبي المنهج ، بيّـن روزنتال ما لدى المؤرخين والعلماء المسلمين من مادة أخرى لهؤلاء الطالبين •

ولكن هذا الماضي ـ على احترامنا اياه ـ شيء من أشياء • ولقد حقق الغرب فى تأريخه الحديث أموراً خارقة كان مناسباً أن تنتفع بها لـدى يقظتنا ، وقد انتفعنا ـ كما رأيت ـ اذ درسنا المنهج وألّفنا فيه • وكان لابد لنا من مجال آخر للانتفاع ألا وهو الترجمة ، وقد وقع لنا شيء حسن فيه اذ ترجم مندور لانسون وترجم بدوي لانجلوا وسنيبوس •

وتهيأ للغرب من الظروف المؤدية الى نمو المنهج الأدبي خارج ميدان الادب نفسه ما لم يتهيأ لنا ؟ فلقد دفع سلطان العلم الصرف الذى طغى خلال القرن التاسع عشر بأُدباء أمثال تين وبرنتيير الى الخضوع المطلق لهـذا السلطان ، مما أدى بآخرين الى أن يقفوا مدافعين وأن يدعوا الى الاعتدال وقد نجحوا وأثرى موقفهم المنهج •

وفي عام ١٩٠٩ ألقى لانسون فى بروكسل محاضرة[٢] بدأها ببيان

---

(١) أسد رستم ـ مصطلح التاريخ • وكما نبه الدكتور رستم على فضل المحدثين نبه روزنتال على فضل المؤرخين فى كتابه « علم التاريخ عند المسلمين » ، وفضل سائر العلماء فى كتابه « مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى » •

(2) Lanson - Méthodes ... 21-37.

ما للأدب من خصوص يميزه من العلوم الصرف • ثم ذكر سنت بيف أ'نموذجا للدارس الادبي الذى عرف العلم عن كثب ، ولكنه اذ اعتزم أن يؤلف التاريخ الطبيعى للأدباء لم يأخذ من العلم أكثر من التشابه العام ولم يدَّع أنه يقوم بما كان يقوم به لامارك ــ العالم بالتأريخ الطبيعى •

ثم ذكر گاستون پاري المتخصص بفقه اللغة وأدب القرون المتوسطة ، وقال : انه لم يمثل دور كلود برنارد أو دارون ، « لقد كان گاستون پارى ، ايها السادة ، يعرف ما يجب أن يستعيره من العلم : ضميره • لنترك أ'طره وقوانينه ، ان طريقنا الوحيد الذى لا يخطى الى الاسهام فى الحياة العلمية أن ننمي فينا الروح العلمي » •

ثم تلا لانسون الصفحة التى بدأ بها فردريك رو Rauh دراساته عن المنهج فى علم نفس العواطف ، وعقّب عليها بقوله :

« ان الذى نفيده من العلماء هو وضعهم الفكرى ازاء حقيقة الاشياء ناقلين منهم الينا حب الاستطلاع النزيه ، أمانتهم الشديدة ، صبرهم المر ، انكبابهم على العمل ، صعوبة التصديق ، الحاجة المتصلة الى النقد والضبط والتحقيق •

••• لنأخذ من المناهج العلمية الحذر ، فكرة ما يكون عليه برهان ، فكرة ما تكون عليه المعرفة ، أن نكون أقل استسلاما لأهوائنا وأقل تسرعا الى الجزم » •

ان محاضرة لانسون هذه تعكس لنا أشعة مما جرى للغرب ولم يجر لدينا ، وتطمعنا أن نأخذ من العلم ما أخذه الغرب ، ونفيد مما سطره فى مناهجه بهذا الصدد[1] •

* * *

وستظل مناهج البحث المختلفة في نمو وازدهار ، وسيظل منهج البحث الادبي كذلك ، واذا اخذنا اليوم مادتنا من هنا وهناك من الشرق والغرب ، فلقد قطعنا شوطا حسنا ، وسنقطع أشواطا ، ولا يبعد أن تمد تجاربنا المنهج بمفيد وجديد •

(١) ينظر لانسون بترجمة مندور ٣١ ــ ٣٥ •

الفصل الأول

البحث والبحوث

(١)

البحث research (=recherche) طلب الحقيقة وتقصيها واذاعتها فى الناس • والبحث الادبى : طلب الحقيقة الادبية فيما حفظ لنا التراث من مصادر ، واذاعتها •

وفى كلمة الحقيقة ما يبين المعنى الانسانى للبحث • ويدخل فى هذا المعنى الشمول فيما يتصل بالفكر البشرى وعاطفته وخياله ••• دون ان يمنع هذا الشمول فى القصد ان يرى باحث بارع عناصر الانسانية بمعناها الواسع خلال موضوع محلي يبدو ضيقا جدا •

ومن هنا يلتقى الباحثون من كل صنف : الفلاسفة والعلماء ••• والنقاد ودارسو الادب ، ويجب ان يلتقوا أو أن يكون اللقـــاء ـ فى الاقل ـ من أهدافهم ومما لا يغيب عن بالهم •

ومنهج البحث الادبى : الطريقة التى يسير عليها دارس ليصل الى حقيقة فى موضوع من موضوعات تاريخ الادب أو تاريخ قضاياه منـــذ العزم على

الدراسة وتحديد الموضوع ••• حتى تقديمه ثمرة عمله الى المشرفين أو الناقدين والقرّاء « مقالا » او « رسالة » او « كتابا » •••

وهو يفيد كثيرا من المناهج الاخرى فى خطوطها العامة ولاسيما فى التاريخ • ولكنه يتميز بأنه يتعامل مع مادة فنية ونص انشائى على الباحث فيه ان يغور الى اعماقه ويقرأ ما وراء حروفه فيصل خياله بخيال صاحبه وعاطفته بعاطفته[1] ••• متخذا من المادة التأريخية عونا ومساعدا على بلوغ هذه الغاية ، مؤيدا اياها بعوامل مساعدة أخرى تتكون من كل ما يستطيع ان يحوز من فنون المعرفة من لغات وجغرافية وفلسفة ••• وعلوم صرف •

ودرس منهج البحث : يوجهالطلبة فى عملهم ويبين لهم صميم رسالتهم ويزودهم الضرورى مما يلزمهم فى كل خطوة يخطونها منـــذ البـــداية حتى النهاية •

ودواعى هذا الدرس : ان منهج البحث مظهر حضارى تشتد الحاجة اليه بعد الحاجة الى الدرس والتأليف وما يصحب ذلك من تراكم الخبرات وتضخم المادة ، وما يتصل بهما ـ عـادة ـ من اضطراب و « فوضى » أو تعصب وجهل وجور يضيع فى مجاهلها القارىء وتضيـع الحقيقة فتختلط الامور على الجيل الناشىء ويصعب عليه ان يتبين دربه ويخشى عليه ان يأخذ الباطل مأخذ الحق ، ويسلك الى هدفه مسالك لا توصله فى يسر ، او لا توصله أبدا ، فيزيد على ضلال الاسلاف ضلال الاعقـاب وينقص من محاسن الماضى ما يحتاج اليه المستقبل •

اذا وقع ذلك ـ وهو واقع ـ انبرى الغيارى يوجهون ويرسمون طريقا يبين صواب المصيبين ويفضح خطأ المخطئين ، ويسهلون أمـر البحث على الناشئة والطلبة مستفيدين مما حققته البشرية فى تاريخها العلمى •

وكان طبيعيا ان يرتبط « منهج البحث » بالجامعات ارتباطا وثيقا ، لانها موئل الحقيقة ـ او ما يفترض فيه ان يكون كذلك ـ ولانها تتعامل مع طبقة لها من السن العقلية ما يؤهلها للبحث ولفهم مناحى البحث • ولا يقـــوم

---

(١) ينظر لانسون فى ترجمة مندور ٢٠ ـ ٢١ •

التعليم الجامعى على التلقين أو تقديم المعلومات مجموعة (أو مشتتة !) من هنا وهناك على غير رابط وغير هدف ، وانما يقوم على المحاضرة الناضجة التى يُعدّها الاستاذ خير اعداد ، وعلى البحث الذى يعده الطالب نفسه •

واذ وجب على الطلبة ان يبحثوا احيانا ـ كما يبحث الاستاذ ـ وجب الاخذ بأيديهم وتيسير مهمتهم • ولا أجدى فى المساعدة من تدريسهم ـ بوجه أو آخر ـ هذه الطريقة وتزويدهم خلال هذا الدرس المهم من الخبرات ـ أو القواعد ـ التى يحتويها هذا الباب •

ولك ان تقابل ـ لكى تدرك قيمة هـذا الدرس ـ بين بحث جامعى وبحث غير جامعي ، وبين بحث لجامعي ملم بالقواعد والاصول ، منبّه عليها وبحث للجامعي نفسه قبل ان يعي هذه القواعد والاصول ستجد ان الفرق كبير ، وترى بذلك دليلا على ضرورة الدرس •

واذا كان الغرب على ما قطع من اشواط وعلى ما فى حياته اليومية من منطق ـ يُعنى بمنهج البحث ، كان أولى بنا ان نُعنى به • وكم يسوؤنا أن نرى الكثيرين ممن تصدوا للبحث من الجيل الاول قد استهان بالامر ولم يأخذ عن الغرب ما يجدر ان يأخذه ، فجاءت مؤلفاتهم ـ فى الغالب ـ خلطا أو سرقة ونقلا او شطحات من الخيال والعصبية ••• والمغالطة •

ثم اننا أصبحنا نريد من طلبتنا ما تريده الجامعات الغربية من طلبتها ، وذلك من حقنا ؛ لكن الواجب يلزمنا بمـــا الزم الغربيون به أنفسهم فى المنهج العلمي •

والخلاصة فى فوائد الدرس انه :

١ ـ يعلم الطلبة كيف يبدءون ••• وكيف ينتهون •

٢ ـ يوفر عليهم الوقت ••• والجهد •

٣ ـ يجنبهم الوقوع في الخطأ الذى وقع فيه السابقون •

٤ ـ يحفظهم من الضياع والسأم والشعور بالعجز •

٥ ـ يعينهم على ان يستغلوا الفائض من حالات الضياع وما اليها في التجويد

والانصراف الى صميم الموضوع والى كشف ما يستطيعون كشفه ضمن نطاقهم .

٦ – يحبب البحث ويهيء لهم الاستمتاع بثمرة عملهم .

٧ – يُعدّهم لبحث أوسع ... وتأليف أخطر فى مدى انسانى أبعد ... أصيل .

٨ – يدلهم على أنفسهم ، ويحدد لهم موقفهم من هذا الميدان .

٩ – يكتشف المتفوق ويرعاه .

١٠– يوجد للطالب المتفوق الذى يضيـــق ذرعا بالمعلومات التى يقدمهـــا الاساتذة للمستوى الوسط متنفساً ويحبب اليه عمله

ولابد من معرفة القَدْر المناسب ، فالبحث – مثل أي ميدان آخر – واسع ومتنوع ومعقد ، بمعنى ان فيه تعميما وتخصيصا .

أما التعميم فيقصد به القدر العام الذى يحسن ان يعـرفه اى طالب ليقوم بما يطلب منه على وجه مقبول ؛ فلا يعذر طالب على الجهل بما اصبح قاعدة فى البحث ، ولا يحسن ان يترك طالب دون ان يزود هذه الامور التى باتت أصولا ... وليقدم – بعد ذلك – بحثه فى حدود طاقته ، وليقف من دراسته الجامعية ومن سيره التأليفى حيث تقف به هذه الطاقة ؛ فليس من المنهج ان تخرج عن المنهج ، وليس منه أن تسـير على خلاف طبيعـة الاشياء وان تكلّف بما لا يطاق وان تطالب بالمستحيل . انك ازاء طالب محدود النطاق فى هذا الميدان ، فاكتف منه بالممكن ، ولا تلح عليه ، واتركه يتفوق فى ميدانٍ غيره – خارج الجامعة ان اقتضى الامر .

أما التخصيص فيقصد به ما نتوجه به الى الخاصة من الطلبة ، الى البارزين الذين يدلون على ميل خاص فى البحث ويبدون تفوقا ملحوظا ويشيرون الى نبوغ منتظر .

تشبّث بهؤلاء ، وشجّعهم ، وزوّدهم الكثير مما كسبته وما يمكن ان يفيدهم نظريا وعمليا ؛ فمن هؤلاء سيولد المؤلف الخطير والاستاذ القدير .

ولامر ما وضعت بعض الكليات مواد خاصة «للشرف» او «الامتياز» ،

ولسبب من هذه الاسباب تعددت مراحل الدراسة العالية • وما كل طالب بمستحق للماجستير ، وما كل طالب تنتظره الدكتوراه •

وتقول بعد هذا : هل المنهج مما يدرس فى صف ؟ وأقـول نعـم ، ولاسيما بعد ان تعددت سبل الدراسة وتعقدت مناهجها • ان الاستاذ يقدم فى هذا الدرس من خلاصة الخبرات أو من تفسيرها ما يصعُب جدا ان يتهيأ لطالب فى سعيه الفردى • والعبرة ــ كما هى فى كل درس ــ بالاستاذ الذى يتولى تقديمه والكتاب الذى يتضمن مادته • على ان الدرس الامثل منه ما شفع فيه العملى بالنظرى والبحث بالمنهج •

ويبقى الطلبة ــ بعد ذلك ــ منازل ••• شأنهم فى المواد الاخرى • وقد تجد طالبا لم يتلق المنهج فى درس خاص خيرا من طالب تلقاه لسنة أو سنتين ، عدته فى ذلك ــ بعد نباهته ــ ما استوعب من اسراره قراءة فى هذا الكتاب من كتب المناهج او استقراه فى بحث قائم على الاصول • ولكن، لو كتب لهذا الطالب النابه ان يبنى استيعابه واستقراءه على أساس من الدراسة كان أمتن ••• وأرقى •

(٢)

والبحوث أنواع ، تختلف حجما وأهمية بحسب الغرض الذى تطلب من أجله والمرحلة الجامعية التى يحلها الطالب • وهى ــ بهذا ــ تتناسب طردا مع السن الجامعيــة • وانها ــ لهـذا ــ على درجات ••• وانواع • من أهمها :

١ ــ البحث الصفي : وهو ما يكلف به الطلبة خلال دراسـتهم فى مرحلة من مراحل الليسانس (او البكلوريوس •••) أى ان تقوم به وأنت تتلقى الدروس فى الصف الفلانى او الصف الفلانى من كليتك (أو معهدك أحيانا) ، ولذا شاعت تسميته بالبحث الصفى (نسبة الى الصف وهو مـا يسمى فى عدد من الاقطار العربية : الفصل) •

ويقصد منه ـ فيما يقصد ـ الرجوع الى المصـــادر من أجل اطلاع أوسع مما هو فى الكتاب المقرر أو المحاضرة الملقاة أو ما لم يدخل فيهما أصلا ، والتدريب ـ بعد ذلك ـ على مزاولة البحث اعدادا للمستقبل •

وهو ـ لهذه العوامل والظروف ـ ذو خطورة خاصة هى خطورة البداية والاساس من كل شىء فذا وجه الطالب جيدا وأحس بأن استاذه جاد ، يقرأ بحثه ويناقشه على منهجه ورأيه ، جدّ واعتمد نفسه ، ومن ثم يزداد نفعه وتزداد صلته بالبحث الحقيقى ، وقد يأنس بـه ويكتشف شـيئا من نفسه خلاله فيسعى الى بحث آخر ••• وآخر •

اما اذا ترك وشأنه ، وأحس بأن كلامه يبقى حبرا على ورق يتساوى فيه الزين والشين ، فانه يكسل وتخمد همته • وقد يسرق وينقل مادته من أقرب كتاب وأيسر مجلة أو من بحث لطالب من سنة سبقت او ان يستعين استعانة كبيرة بغيره • ثم يعتاد الحال ، ويفوته جوهر الشىء •

وعلى الكلية ان تهيىء للاستاذ ـ والطلبة ـ فرصة القيام بالواجب • ويمكن ان يتحقق ذلك :

١ ـ بأن تجعل البحث درسا مستقلا له ساعته الخاصة به •

٢ ـ وبأن يكون العدد من الطلبة المنسبين اليه محدودا •

٣ ـ والا تكلف الطلبة بالبحث الا فى السنة الثالثة والرابعة •

٤ ـ بعد ان يكونوا قد زودوا فى السنتين الاولى والثانية بالمكتبة والمنهج وشيء من التطبيق •

٥ ـ الا تثقل طلبة السنة الواحدة بالبحوث • ولا بأس فى أن تكتفى ببحث واحد للطالب الواحد ـ لان العبرة بالكيفية •

٦ ـ على ان يمر الطالب الواحد بأكثر من مادة واحدة من مواد البحوث ليلم بالتجربة بطبيعتين مختلفتين كأن يعمل بحثا فى السنة الثالثة فى موضوع من تاريخ الادب وان يعمل بحثا ثانيا فى السنة الرابعة فى موضوع من النحو •

ومن الشروط المهمة فى البحث الصفي : الضيق ، ويحسن ان يكون

فى حدود عشر الصفحات لان الطالب فى دور التجربة وطاقته محدودة •

ومن الطلبة (والاساتذة) من يرى ـ لسبب وآخر ـ أن عشر صفحات قليلة فيزيد ويزيد على غير قياس أو ضرورة ، وينقل من هنا وهناك ، ويطيل فيما لا طائل تحته • وهذا غير صحيح ، لان « التركيز » شرط فى البحث الصفى ، وفى كل « بحث » • ويعنى التركيز ـ فيما يعنى ـ الرّص •

نحن نسميه بحثا صفيا • وقد نكتفى بكلمة « بحث » ولا بأس ، لانها ذات دلالة ، وكلنا يعلم انه بحث في صف •

وقد نسميه تقريرا ، والتسمية مقبولة ـ ان كان المقصود بالتقرير المقصود بالبحث كأننا نترجم بذلك الكلمة الانكليزية : **Report** .

وقد نجد من يفضل تسميته بالمقال او المقالة وهو ينظر فى ذلك الى الكلمة الانكليزية Essay (=Essai) وهذا مقبول ايضا ، ولكن الخوف فيه أن « يتبادر » الى ذهن الطلبة ما يمكن ان يتبادر عادة عندما نطلق كلمة « مقالة » اى الانشاء القائم على الذاتية او المقتضى الصحفى • وقد تكون ـ لهذا ـ كلمة « **المقال** » **خيرا** •

وعلى أى حال ، فكلمة « بحث » وحدها Research (=Recherche) تغني لان التخصيص يأتى من الحالة القائمة ـ أى الصف •••

وقد يكون هذا البحث الضيّق المركز ترجمة للكلمة الانكليزية : Paper ، وكثيرا ما نسمع الطلبة الذين تغلب على دراستهم اللغة الانكليزية يتحدثون فيقولون عندنا پيپر ، وعندى پيپر ، وطلب مني الاستاذ أن أعمل پيپر ، وهم يقصدون فى كل ذلك الى ما نقصده هنا من كلمة « بحث صفي » •

وكما تطلق البيپر على البحث الصفي ، تطلق على ما هو أعمق منه ، أى البحث الذى يطلب منك استاذك ان تجريه بغض النظر عن المرحلة التى أنت فيها ، كأن القصد منه : الضيق والتركيز • وان الشدة فى حسابك تتناسب طردا مع المرحلة • وتطلق « البيپر » ضمن هذين الشرطين من الضيق والتركيز على مايقوم به الاساتذة انفسهم مختارين من بحوث ينشرونها

في المجلات العلمية (الاكاديمية) ، وقد اعتدنا ان نسمع من الاساتذة العرب الذين تلقوا دراستهم بالانكليزية : انى اكتب پيپر ، ونشرت پيپر ويبالغون فى استسهال اللفظة الاجنبية فيقولون : يشترط للاستاذية ثلاث پيپرات في الأقل •

وفي هذه الحالة ، حالة بحوث الاساتذة ـ يزيد البيپر على عشر صفحات ، ولكنه يبقى محدودها كأنهم يفرقون بها عن الكتاب وتأليف الكتاب • ولم نألف ترجمة البيپر هذه بالورقة •

★ ★ ★

٢ ـ تشترط بعض الكليات بحثا للتخرج ، وقد يسمى رسالة (ترجمة للكلمة الانكليزية : Thesis او الفرنسية Thèse) يكتبه الطالب فى سنته المنتهية ويكون شرطا فى منحه الدرجة العلمية (الليسانس او البكلوريوس) • ولابد من ان يكون هذا البحث أوسع من سابقه وان يكون الحساب أشد ، وتبلغ عدد صفحاته الخمسين أو تزيد ـ والمعقول الا تزيد كثيرا حرصا على النوع •

ويبدو ان هذا تقليد غير موفق كثيرا ، تلجأ اليه هذه الكلية او تلك الجامعة يوم يكون طلبتها معدودين ، وليس لديها مرحلة علمية بعد مرحلة الليسانس ، حتى اذا اتسعت الامور لم تر ضرورة اليه •

لقد كانت دار المعلمين العالية ببغداد تشترط رسالتين ثم تنازلت عن شرطها كاملا ، وكانت جامعة دمشق تشترط رسالة ثم أقلعت ، على انه بقى فى عدد من جامعات العالم ومنها الجامعات السوفيتية •

★ ★ ★

٣ ـ ويمكن ان يطلب بحث (أو بحوث) مقدمة لمرحلة تلى مرحلة الليسانس أو مرحلة متممة لها • ويقع ذلك فى الغالب من أجل تدريب الطلبة الذين لم يدلوا على علم بالبحث ومنهجه أو من أجل الاطمئنان الى قدراتهم ، او استكمال نواقصهم السابقة فى مواد الدرس او التقدير الذى حصلوا عليه ، او فى سنة تحضيرية تشترطها جامعة من الجامعات قبل البدء بالمرحلة الجديدة •

ويتوقف حجم البحث على الموضوع المقترح • فقد يكون عشر صفحات وقد يزيد • وقد يكون ما بين الـ ٢٠ـ٣٠ طولا معقولا •

وليست المسألة هنا مسألة الطول قدر ما هي مسألة الحساب الدقيق ، لان الاستاذ يفترض ان الطالب الماثل ازاءه قد تعدى الطور البدائي وانه سيؤتمن على عمل ضخم وخطير •

* * *

٤ ـ الدبلوم والماجستير • والدبلوم Diploma (=Diplôme)

في ابسط تعريفاته شهادة للتخصص في دراسة ما • وقد تمنح هذه الشهادة بعد درس وامتحان فى مرحلة تأتى بعد الليسانس ، وقد تمنح دون علاقة بالليسانس وشرط الشهادة العالية • وقد تمنح بعد بحث معين او بحثين معينين لتكون شهادة محدودة الدلالة فى الدراسات العليا او لتكون المرحلة التي تسبق التبريز (الاكرگاسيون Agrigation) في النظام الفرنسي أو الدكتوراه فى بعض كليات الجامعة كالحقوق •

ويمكن ان تبلغ صفحات هذا البحث الـ ٢٠٠ (وتقل أو تزيد قليلا) ويمكن ان تسمى في هذه الحالة رسالة •

اما الماجستير (او الماستر Master) فهو مرحلة لدرجة عالية بعد الليسانس يقتضي بحسب غالب الانظمة ـ فيما يقتضي ـ تأليف رسالة فى حدود الـ ٢٠٠ صفحة (وقد تزيد ، وقد تعد هذه الرسالة نفسها رسالة للدكتوراه اذا دل فيها صاحبها على تفوق ـ كما هو الشأن فى النظام الانكليزى) •

وقد يساوى هذا البحث الذى يحصل به الطالب فى البلاد العربية والاميركية على الماجستير (الماستر) البحث الذى ينال به الطالب ما يسمى دكتوراه الجامعة فى فرنسا (أو اسپانيا) •

وتكون كلمة دبلوم أخص بشهادات المعاهد من الماجستير • ومع هذا ـ ولهذا ـ فان معهد الدراسات العالية بالجامعة العربية يسمى شهادته : ماجستير •

* * *

٥ ـ الدكتوراه (ويفضل بعضهم كتابتها : الدكتوراة) (Ph.D.

(Doctorate=Doctorate وهـى ـ عـادة ـ أعلـى الشـــهادات الجـــامعية ، ومعنى هـــذا افتراض الشـــدة فى الطلب والـــدقة فى الحساب • ويسمى البحث (Thèse=Thesis) ويترجم الى العربية بالرسالة أو الاطروحة ، وقد غلبت الكلمة الثانية على بحوث الدكتــوراه حينا ، ومازالت ، ولكنها فى تضاؤل كأن لفظة الرسالة اسهل على اللسان والاذن ، علما ان الاطروحة لدى الترجمة الدقيقة عن الفرنسية تعنى ان الطالب انتهى من بحثه وسمح له استاذه بالطبع وتقديمه الى الجامعة بانتظار الاجراءات الاخرى لاجازة الشهادة •

وأسخف ما يمكن ان يفهم من هذه المرحلة : ضخامة البحث فيتصور المتصور من الطلبة (والاساتذة احيانا) انهـا ما دامت دكتــوراه ، فلتكن رسالتها فى عدد عديد من الصفحات : ٥٠٠ ، ٧٥٠ ، ١٠٠٠ (أو يزيد) • لا ، ليست المسألة مسألة كم ، ان استاذا ماهرا فى منهج البحث يضحك بك اذا زدت فى المساحة وقد تخسر ثقته بك وبعقليتك وبالجامعة التى تخرجت فيها ، ان ٢٥٠ صفحة ، ٣٠٠ ، ٣٥٠ حجم مناسب جدا ، والعبرة قبل ذلك فى عمق البحث والتزامك الاصول •• ورصه وتماسك وحدته •

ومن الجامعات ما تمنح الدكتوراه بعد الماجستير (الماستر) على رسالة واحدة خاصة بالمرحلة • وعلى هذا تجرى الجامعات العربية مثلا • وكذلك الاميركية • ومنها ما لا تشترط دراسة بين الليسانس والدكتوراه كما فى اسبانيا وكما كان النظام فى الكليات الادبية بفرنسة ، ولكنها تضع لقاء ذلك نوعين من الدكتوراه :

١ ـ دكتوراه الجامعة وتقتضى مدة لا تقل عن سنتين فى تحضير رسالة محدودة العدد (١٥٠ صفحة او يزيد) •

٢ ـ دكتوراه الدولة وتقتضى رسالتين : واحدة رئيسة (فى حدود الـ ٣٥٠ صفحة) ، وثانية ثانوية (يفضل فيها ان تكون تحقيقا لمخطوطة تحقيقا علميا) •

وقد أوجدت فرنسا نوعا ثالثا من الدكتوراه سمته « الدائرة الثالثة » troisième cycle .

اما النظام الانگليزي فقد رأينا الغالب فيه ان يسجل الطالب باسم الماستر ، حتى اذا اقتنع استاذه بجدارة بحثه لما هو اعلى من المرحلة التى سجل عليها رشح بحثه للدكتوراه • وهناك نوع من الدكتوراه بعد الدكتوراه ويرمز لدرجته بـ D. Litt .

هذه خطوط عامة للدرجات العلمية والبحوث المرتبطة بها ، ويستطيع الطالب ان يستزيد علما بنظم جامعة من الجامعات بالاطلاع على دليل تلك الجامعـة •

علما ان جامعات العالم ليست على مستوى واحد من المتانة ، ومنها ما يمكن ان تمنح الدرجة فى يسر وعلى بحث لا يؤهل صاحبه فى جامعة أخرى لدرجة ، واكثر ما يقع هذا التفاوت فى الجامعات الاميركية ، ومن الدول ـ ومنها العراق ، ما لا يعترف الا بالشهادة التى تمنحهـا جامعات معروفة لديها بالقوة والامانة •

وفي البلاد الغربية من يتسهل مع عدد من الطلاب الاجانب لغاية فى نفسهم وفى رأس هذه الغاية الطمع فى ان يكون الدكتور الجـديد الى جانبهم اذا ما عاد الى بلاده واحتل منصبا مرموقا •

وتبقى المسـألة ـ بعد كل ما قيل ويقال ـ مسـألة شخصية تتوقف بالدرجة الاولى على جهد الطالب وثقافته وعقليته واخلاصه • فرب بحث عال صدر عن جامعة غير عالية ، وقـد يحدث العكس • وما كل حملـة الدكتوراه فى مستوى واحد شأنهم فى ذلك شأن طلاب فى صف واحد من سني أية دراسة •

ملاحظـات :

١ ـ كثير من هذه الدرجات Grades لدى الغربيين من أصـل اغريقى او لاتينى ثم تبناها الاستعمال الدينى فكانت من مصطلحات الكنيسة ورجالها • فالليسانس licence تعنى فى الاصل الاجازة permission التى تمنح صاحبها حق ان يكون محاميا او معلما ••• ثم أطلقت على السنتين اللتين يمضيهما خريج الدراسة الثانوية فى دراسة اللاهوت théologie

على مقاعد الدرس قبل ان يقبل للدكتوراه doctorat .

والدكتور – في الاصل – هو الذى يعلم علنا ، وأطلقه اليهود على الربانى (او الحاخام) العالم بالشريعة ، وأطلقه المسيحيون على الذى يفسر الكتب المقدسة • ودخل اللقب الجامعات لاول مرة فى جامعة بولونيا فى القرن الثانى عشر ، ثم تبعتها جامعة باريس – بعد قليل •

وفي عام ١٣٤٠ جُعلت جامعة باريس أربع كليات هى : اللاهوت ، القانون ، الطب ، الفنون (اى الآداب والعلوم) وبقي اللقب فى الكليات الثلاث الاولى دون الفنون • ولا يمنح الا بعد دراسة صعبة قاسية تستغرق ما بين الـ ٨ – ١٤ سنة تعقبها مناقشة علنية يحصل الطالب على أثر نجاحه فيها الدرجة – شعار الدكتوراه – وهى الجبّة (الروب) lerobe والخاتم l'ânneau والقبعة المربعة le bonnet carré .

ولم يسمح لكلية الفنون (الآداب والعلوم) بلقب الدكتور الا بعد الثورة الفرنسية ، بموجب مرسوم ١٧ مارس سنة ١٨٠٨ ، الذى نص على نظام جديد للدكتوراه تمنح بمقتضاه فى كلية الآداب والعلوم والقانون والطب • ثم الغت الجامعة كلية اللاهوت سنة ١٨٨٥ •

وليلاحظ ان الرسالة او الاطروحة La thèse لم تكن في الاصل لتعنى ما تعنيه اليوم ؛ فقد بقيت حتى أواخر القرن التاسع عشر تمرينا شفهيا أشبه بالمناظرة بين الطالب وممتحنيه • كان على الطالب المتقدم الى الدكتوراه ان يجيب علنا (أمام جمهور من الحاضرين) عن قضية معينة يطلب اليه الحديث عنها وان يدافع عن رأيه وان يرد الاعتراضات التى توجهها اليه اللجنة الممتحنة • اى انه لم تكن لتعني تأليف كتاب يعتمد موضوعه على مصادر كثيرة •

* * *

٢ – وفى تاريخ التعليم الاسلامى مصطلحات وألقاب علمية لم يكتب لها ان تتطور فتدخل الحياة التعليمية الحديثة فتصبح الليسانس – مثلا : الاجازة ، ويصبح الدكتور : الفقيه أو العلامة ••• وانما اخذنا الالقاب

الاوربية كما وصلت هناك فى آخر أطوارها •

وتبقى المسألة ـ بعد ذلك وقبله ـ مسألة المعنى والجوهر •• والحرص على ايفاء اللقب حقه من الجد والجهد والذكاء والشخصية ، وصيانته من الابتذال ومواضع السخرية • ويتحمل المسؤولية فى ذلك الغرب والشرق على حد سواء •

ان العبث باللقب العلمى كناية عن فساد الضمير ودليل على الاستهانة بالقيم وايعاز بالعمل على التخريب •

فلتكن للالقاب حرمتها ، ولنسهر نحن ـ الباحثين وطالبى البحث ـ على رعاية كرامتها •

★ ★ ★

٣ ـ ان فرنسة لا تميل كثيرا الى ان تقيم العمل الصفى على الرجوع الى المصادر العديدة والعودة منها بمعلومات وحواش فى صفحات كثيرة ؛ وانما تميل الى تربية الجانب العقلى للطالب وتوجيهه نحو المنهج السليم للاعراب عن آرائه فى موضوع أدبى • ولذلك فهى تختار من الموضوعات التى تلقيها عليه ما يستثير أفكاره ويستنهض شخصيته ويدل على مقدرته « الانشائية » كأن يطلب اليه رأيه فى مسرحية أو قصة أو قصيدة ؛ وموقفه من نظرة نقدية او حدث تاريخى او مشكلة لغوية او قول متداول ، وحكم سابق •

والمهم فى كل ذلك السعى الى تنمية مقدرة الطالب على تنظيم افكاره وعرضها واضحة دقيقة والسير بها متراصة متماسكة الأجزاء من دون سخف أو اضطراب ، وتقديمها بلغة سليمة ـ جميلة احيانا ، كأنهم يعدونه بذلك الى الحياة والى المراحلة القابلة ومنها مرحلة البحث العلمى الذى يقـوم على المصادر ـ ولا يعنى البحث ـ على اى حال ـ اهمال الجانب العقلى ، كما ان العناية بالجانب العقلى لا تستغنى عن المادة العلمية •

واهم المصطلحات **المستعملة هى** la dissertation ، le mémoire ، l'exposé ، l'essai .

ولا غرو ان كانت العناية بهذا الفن تبدأ فى مرحلة الدراسة الثانوية ،

وأنك تجد في الاسواق عددا لابأس به من الكتب التى تعلم ال dissertation وما اليها ، وقلما تجد كتابا فى تعليم البحث la recnercne .

وقد تنفعنا هذه الملاحظة في أمرين :

الاول : الا نبالغ فى محاسبة طلبتنا بشأن البحث العلمى القائم على المصادر والحواشى وان تكون أهم غاياتنا فيه تزويد الطلبة بالمنهج العام فى حدود مستطاعهم - وقد رأينا شيئا من ذلك •

الثاني : ان نعنى بالجانب الفكرى للطلبة وما يعينهم على عرض رأيهم سليما بلغة سليمة • وفى هـذا المعنى سعينا الى ايجاد درس جديد باسم « المقال » ترجمة لكلمة essai ليكون ضربا من الـ dissertation وليؤيد درس البحث recherche .

كأننا نعلم بذلك : كيف تبحث ؟ وكيف تفكر ؟

والمناسب فى موضوعات درس المقال ان تكـون قوية تهـز الطالب وتستثيره للكلام ايجابا او سلبا بما له علم سابق به أو بما هو فى متناول أفقه الفكرى على الا يلقى الاحكام جزافـا والآراء مشـتتة ، لان الدرس يقتضي ان يقف الطالب ازاء الموضوع فاحصا متـأملا لكي يفهـم أجزاءه ويحدد صميمه ويقرر موقفه منه وموقف المؤيدين والمعارضين ويهيء الأدلة والشواهد التى تمنحه المتانة والرصانة فيرسم لـذلك - وبذلك - خطـة متماسكة تقر طريقه من البدء الى الانتهاء ، حتى اذا شـرع يكتب (او يتحدث) كان قد سيطر على المادة وتمكن من عرضها بلغة سليمة تجمع بين الوضوح والجمال •

ونذكر من الموضوعات الصالحة للمقال : الأدب حاجـة انسانية ، الشعر ديوان العرب ، السجع لعب لفظي ، عمود الشعر ، القديم والجديد ، الشعر الشعبى ، عندما تصير القصة فلما ، قصيدة قرأتها ، مسرحية شهدتها ، الفكر يخرج الشعر عن طبيعته ، وقفة تحليلية ازاء نص أدبي ، حاجتنا الى الأخذ عن الغرب •••

الفصل الثاني

الباحث

اذا درست باحثا معدودا في اخلاقه وآثاره رأيت فيه صفات خاصة : فطرية ومكتسبة ، خلقية ومهنية • واذا نظرت الى هذه الصفات وجدتها كثيرة ، ووجدت فيها ما يشارك به المختصين الآخرين في كل حقل من ذكاء وعلم وثقافة عامة وخاصة وتجربة وما الى ذلك ، ومن اخلاص وامانة وما اليهما ؛ ومنها ما يشارك به غيره ، ولكنها لديه ذات دلالة مرتبطة بعمله الخاص ؛ ومنها ما يجب ان يتفرد به بحكم « البحث » •

ويمكن ان نوجز أهم شروط الباحث بما يأتي :

١ ـ الرغبة :

الرغبة شرط للنجاح في كل عمل ، وهي شرط في البحث ، فاذا فرض عليك البحث فرضا ضقت ذرعا وكنت كالمضطهد • ولا يمكن في هذه الحال ان ينجلي ليلك عن نهار • اما اذا كنت راغبا في ان تبحث ، أنست بعملك ولازمتك خلاله نشوة فبذلت بسبب ذلك الجهد واستهنت بالوقت •

ولا يعني هذا حجة رخيصة يتوسل بها الطالب الذى يؤثر الراحة ، فقد يحسب امرؤ انه غير راغب على التوهم ، أما اذا بدأ وسار قليلا فانه يكتشف حقيقته فيحس بمتعة البحث ويسير ويسير •

انك في الصفوف المتقدمة من الثانوية وفي مرحلة الليسانس (البكلوريوس) فى دور التجربة ، ولابد من ان تقبل على البحث وتحمل عليه نفسك ، أول الامر فى الاقل •

ثم ان قلة الرغبة لا تكوّن سببا وجيها للانصراف عن البحث ، لانه أمر لابد منه • اما التوفيق فيه ودرجة هذا التوفيق فذلك ما يقدره الاستاذ (ويقدر معه ظروفك) •

٢ ـ الصبر :

طريق البحث طويلة شاقة ، ومثل هذه الطريق لا تقطع بالرغبة وحدها • وما اكثر الراغبين الذين ينكصون منذ البدء ، فقد تكون الرغبة الظاهرة نزوة عابرة يجهل صاحبها كنهها • ومن هنا وجب ان يصحب الرغبة الصبر على المكاره والصمود ازاء المعوقات والمثبّطات ، والمثابرة وبذل الوقت دون تأفف أو تذمر ـ فى الجمع والمناقشة والتأمل • وقد تنتهى وقفة طويلة الى ما لم يرد باحث فتذهب جهوده هباءً او كالهباء • فاذا كان صبورا جدد عزمه وبدأ مجددا ••• وهكذا •

٣ ـ التتبع :

التتبع وحب الاطلاع على ما قيل ويقال وكتب يكتب وصدر ويصدر ؛ والارتياح للاقامة فى دور الكتب مراجعا هذا الكتاب و «متصفحا» ذاك ، ومقتبسا ملاحظة من ذلك • لان البحث لا يعتمد عددا محدودا من مشهور المصادر ، وانما لابد من الرجوع الى كتب أخرى تبدو أقل أهمية ولكنك قد تجد فى زواياها ما يمكن ان يجلو غامضا او ان يفتح بابا او ان يسد طريقا على آخرين •

ثم ان البحث لا يُحد فى ميدان واحد ، وانما هو متشابك مع الميادين الاخرى • يعطيها ويأخذ منها • فلا تقل ان حقلى الادب ولا يهمنى التاريخ ، ولا تمت اليّ الجغرافية بسبب ؛ او ان بحثي حديث فلا حاجة

لي بالماضى القريب او البعيد •

يقرأ الباحث كل شيء ••• بمـــا فى ذلك المجـــلات والدوريات والفهارس ••• ويستمتع بما يقرأ ، ويقتبس من ذلك ما يتصل بموضوعه •

٤ ـ الحافظة والذاكرة والربط :

ان القراءة الكثـــيرة لا تعني شـيئا كثيرا ما لم يبـق الاســاس من المادة فى الذهن ، ويبقى معه اسم الكتاب واسم المؤلف وأمور أخرى تتصل بالاعلام والاحداث والسنوات ••• ونصوص الاقوال •

والحافظة هذه لا تجدى كثيرا ما لم يتذكر الباحث مادتها فى الوقت المناسب ليستشهد بها ويستعرضها ويعود اليها • ولا خير يرتجى بأن تذكرها متقطعة ، لان الشرط فى الامر ان يربط الباحث بين الاجزاء المتباعـــدة ويصل ما قرأه اليوم بما قرأه أمس ، ويجمع بين ما رآه فى كتاب قديم وما رآه فى كتاب جديد ••• وهكذا تستكمل كثير من العناصر •

٥ ـ الشك والتثبت :

يقال : « سوء الظن من حسن الفطن » ، والقول ثمرة لتجارب طويلة فى خضم الحياة ، فما أولانا ، اذاً ، أن نأخذ به ونحن ندرس الحياة الطويلة بل نستعيدها •

أجل ، اقرأ كثيرا ، واسمع كثيرا ••• فذلك من واجبك ، ولـكن لا تقبل كل ما يقدم اليك فى يسر ، دون نظر ، ودون تقليب على الوجوه ، بل دون ممانعة وشك فى صحة ما تسمع أو ترى أو تقرأ ، فقد تخدعك النظرة الاولى ، وقد يغشى عيونك بهرج ويلوى ببصيرتك هوى • وكثيرا ما علمتنا الحياة أن لوجه وجها • و « لعل له عذرا وانت تلوم » •

اقرأ الخبر مرة كما هو ، ومرة على اسوأ مما تراه عليـه ، ومرة أحسن مما تراه • وفى كل وقفة تطيل التأمل مناقشا ما له وما عليه حتى تبلغ ما تقتنع به •

هذا شك من دون سوء فى القصد ، شك نقّاد ، بناء ، لانه يبغى وجه الحقيقة ولا يقوم على المماحكة أو المخاتلة أو المغالبةَ أو المرض النفسي • ومن

هنا كان شرطه ، وكانت جدواه •

يمكنك ان تسمي هذا شكا علميا •

والشك العلمى مظهر حضارى لم يصل اليه الانسان الا بعد ان قطع أشواطا من المعرفة ، وسار طويلا فى تاريخ العقل ؛ أما رأيته عند الاغريق ؟ أما قرأت بعضا عما اشترطه الباحثون العرب ؟ أما قرأت بعضا مما رواه الجاحظ ؟ أما أمر الفيلسوف الفرنسى « ديكارت » فهو أشهر من أن يذكر ولامر ما كان هذا الفيلسوف كاتب « مقالة فى المنهج » •

وللشك فى دنيا البحث العلمى الصرف مكانه المرموق •

الشك ضرورى ، على ان يكون علميا وفى حدود الحقيقة ، وأن يقع فى السلب والايجاب ، وفيما لك وعليك • أما الشك المرضي ، أو الشك الذى تدفعك اليه نزوة من اجل مخالفة المألوف ، والشك الذى أصبح فيك سوء ظن نتيجة تجارب مرّة خاصة بك فجعلت منك « شكاكا » على صيغة المبالغة وفى الاستعمال الدارج لها ، فهو خارج حدودنا وليس من وكدنا •

٦ ـ الانصاف والموضوعية :

الانصاف قرين العدل ، والعدل يقتضى أن تتجرد من الهوى وان تنظر وتحكم بمقتضى الحقيقة • وهو شرط فى الباحث كما هو شرط فى الحاكم •

وهو يعني هنا الا تقبل على موضوعك بعصبية معينة له أو عليه فتجرفك الأهواء بعيدا عن صميم عملك وعن الحق الذى يشترط ان يكون رائدك ؛ فليست البحوث أعمالا تقوم على العاطفة يشبع بها فلان نهمه او يرضى فلان نزوته فيرفع من يريد ان يرفع ويخفض من يريد ان يخفض دون حياء •

ان البحث أمر يتطلب الارادة ، وقوة الارادة فى ان يسيطر المرء على نفسه ويروضها ويرتفع بها عن مستوى الانتقام أو المغالطة أو النفاق أو التهريج ••• والكسب الحرام •

وعرف الغرب ثمرة لحضارته ونهضته العلمية صفة خاصة اشترطها فى علمائه سماها « الموضوعية » Objectivity (=Objectivité) • وهذا الخلـــق مما يتصف به الكيمياوى والفيزياوى ومن اليهما • وهـو فى هذين الميدانين سهل لان المرء فيهما يتعامل مع مواد جامدة فى محيط منعزل• هو المختبر وما اشبهه ؛ أما فى غير هذين الميدانين من الميادين الاخرى فهو صعب لما فى النفس الانسانية من أهواء أو لمـا تخضع لـه هذه النفس من عادات وتقاليد ومعتقدات ومصالح ، ولما يكتنفها من رواسب • ولكن ، مع هذا ، لابد للباحث من ان يكون موضوعيا وان يسمو بنفسه عن ان تضعف ازاء هذا الغرض او ذلك العرض ، لان الحقيقة اكبر •

وقديما اشترط العرب العدل فى المحدث وفى الراوي وفى المؤرخ كما اشترطوه فى الحاكم والشاهد •

٧ ـ الامانة ••• والضمير :

والامانة ان تنقل رأى غيرك فى دقة وتنسبه الى صاحبه فلا تسرقه إن رأيته صالحا وتكون بذلك كأي سارق يصدر عن دناءة ، ولا ينجو من عقاب عاجل أو آجـــل • ولا ينفعك أن تتصرف برأى غيرك أو ان تغير صياغته ثم تدّعيه لان ذلك إن يخف عليك وعلى آخرين فلا يخفى على الباحثين والناقدين •

والامانة شرط فى مناقشة آراء الآخرين ، فلا تجعل المناقشة منافسة ومباراة ومغالبة فتغالط وتلجأ الى الكذب حينا والعبث بالنصـــوص حينـا « والسفسطة » حينا • وانما عليك ان تعرض آراء الآخرين وحججهم كما هي واضحة ثم تبدي آراءك ، اذا كان لابد من المناقشة •

لا تسرق رأيا ولا تسرق بحثا وان فعـــل ذلك آخرون ، لان ذلك لا يشرفك ، ولا يشرفنا •

ومن كان ذا ضمير كان أمينا وكان متأثّما وكان فى نفسه شيء يمنعه من أن يسرق أو أن يعبث •

ان تكون أمينا ذا ضمير ••• خير لك من الخيانة والمغالطة وما يمكن

أن تحقق عن طريقهما من نصر عاجل « ودرجة عالية » .
تلك بديهة ، ولكن الحاجة الى التنبيه عليها قائمة ــ لسوء الحظ .

٨ ــ الجرأة :

الجرأة ان تقول عن الباطل انه باطل ، وعن الحق انه حق غير خائف أو وجل ، ولا يهمك بعد ذلك من ينازعك من اعدائك أو يجتنبك من اصدقائك . وليس فى البحث صديق أو عدو قدر ما فيه من حق وحقيقة .

يجر البحث احيانا الى نتائج خطيرة صاحبها مطمئن اليها تمام الاطمئنان لانه سار اليها بمنهج قويم وقلب سليم ولكن امورا تحول دون اذاعتها . فاذا رأى انه أضعف من ان يتحمل عواقبها طواها فأضاع فرصة على التاريخ وجهل الناس مكانه من البحث . اما اذا نشرها فانه يربح من جهة ويخسر من جهة اخرى ــ وكثيرا ما يحدث هذا فى البلدان التى لا تمنح الباحثين حظاً مناسباً من الحرية وفى المجتمعات التى لا تملك المرانة وسعة الافق ونضج الاعصاب .

وهناك موضوعات لا تزجك فى مزالق شديدة لانها ليست ذات علاقة بمواطن الحساسية الاجتماعية ولكنها مع ذلك تستدعيك قدرا مناسبا من الشجاعة حتى لو بدت كأنها من الادب الصرف والمادة اللغوية . فقد يكون لشخصية أدبية أو لشخصية مهمة في مدار البحث والنشر رأى ، وقد تكون هذه الشخصية استاذك أو الاستاذ المشرف أو عضوا يحتمل ان يكون فى لجنة المناقشة . فماذا تفعل ؟

الجرأة تحقق لك النجاح فى منهج البحث وفى المجد الادبى ، ولكنها يمكن ان تفوّت عليك فرصة آنية للارتقاء المباشر فى الحياة . فقد تحرم الدرجة العلمية ، وقد ... وقد تحرم الوظيفة التى تراها حقا لك .

عليك ان تعرف ذلك سلفا لتقرر موقفك وترى مدى ما تطيق .
وأعلى درجات الجرأة فى البحث العلمى ان تكون صريحا وان تضحى ، ولكنها درجة عالية جدا ليست فى متناول كل الباحثين ، فان استطعتها فبها ، والا فالانسب لك الا تلج بحثا لا تجرؤ ان تفرح بنتائجه .

وإياك إياك – على أي حال – ان تخضع لضغط فتغير وتبدّل بما يخالف الحقيقة والرأى السليم ، وإياك اياك أن يستهويك طمع أو ان يطوّح بك خوف فتغالط وتكذب وتصل الى نتائج غير صحيحة بمقدمات غير صحيحة متخذا من الشكل الخارجى للبحث العلمي وسيلة لتغطية الباطل أو اظهاره مظهر الحق !

٩ – العقلية التنظيمية (البنائية) :

العلم بالشىء وحده لا يكوّن باحثا بالمعنى الحديث • وقد تكون علاّمة فى الادب : أعلامه ، عصوره ، شعره ، نثره ، مصادره ؛ وفى اللغة : نحوها ، صرفها ، تاريخها ، فقهها ••• ولكن ذلك لا يعني حتما انك تستطيع ان تكتب بحثا منهجيا • وقد يكون لك الصبر والتتبع والمناقشة والمادة الغزيرة لموضوعك ، ولكنك تبقى حيث أنت •

والسبب معروف • ذلك أن من عناصر منهج البحث التى لا يستهان بها : العقلية التنظيمية ، أى ان تكون ذا مقدرة على تبويب الاشياء وتوحيد أجزائها مع مجانساتها ووضع كل منها فى مكانه اللائق بقدره المناسب •

انك الآن تبني وتكوّن من موادك الخام عمارة ، ولابد من ان تكون مهندسا حاذقا ليجىء عملك متناسقا مترابطا متكاملا من دون زيادة هنا او نقصان هناك ، ومن دون اضطراب أو تفكك أو رخص فى الربط •

البحث المنهجى عمل تركيبى لا تستغنى فيه عن الخيال •

١٠ – الدربة ••• والاستمرار :

الدربة أن يوجه استاذ طلبته فى البحث وان يزاولوا البحث ويوالوه • ان يكتبوا اكثر من بحث ليفيدوا من التوجيه وينتفعوا من التجربة فيوطدوا الصواب ويجتنبوا الخطأ ، فيسيروا نحو الاحسن •

الاستمرار شرط ومن اجل ان تتهيأ لك صفة الباحث والا فان بحثا تقوم به مكرها يزول بزوال السبب وتعود أنت كما كنت •

والاسباب الخارجية التى تدعو الطلبة الى البحث : الدرجة ، ارضاء

الاستاذ ، الامتحان ثم الشهادة على اختلاف درجاتها العلمية من الليسانس ... الى الدكتوراه . ومن الناس من يقصر استجابته على هذه العوامل فيبلغ بها ما يصبو اليه من « أوراق » . ولا يستطيع هذا الضرب من « الباحثين » ان يجوّدوا كثيرا ، ولكنهم يبحثون على اى حال . وقد يكون بينهم من له من مؤهلات الباحثين الكثير ولكن شغل فكره بما هو خارج دائرة البحث يقصر من خطاه ويضيق من مداه ، فيستوى والاخرين فيما بعد الشهادة اى فى البحث عن « المجد » فى غير عالم البحث وما أسرع ما يغمد هؤلاء القلم ويطوون الورق ويطلقون الكتب !

وما هكذا يكون الباحث الباحث . انه يوحد مطمحه فى بحثه ويقيم مستقبله عليه ومن هنا يستطيع ان يستمر ويتقدم . ولا يستطيع الا ان يستمر ، اما التقدم فهو رهن بتوافر الشروط الاخرى وقد رأينا كثيرا منها ، وبقي الالمام بشرط مهم ، **ومهم جدا** .

١١ ـ الموهبة :

اذا سألك سائل : هل يستطيع كل انسان أن يكون شاعرا كبيرا ؟ أجبته من دون تردد : لا . لانك تعلم ـ مع الناس كلهم ـ ان لابد للشعر الرائع من موهبة . ومثله الرسم والنحت ... والموسيقى .

اما فى النقد فتتردد كثيرا ، ويصعب عليك ان تقطع بالايجاب . واذا قطعت وجدت أنصارك قليلين . فهل يستطيع كل انسان ان يكون باحثا كبيرا ؟ وقد يكون الجواب بالسلب سريعا ، ويكون المجيبون بذلك كثيرين وكثيرين جدا .

لماذا ؟ لان مفهوم الباحث الشائع سهل . زد على أنه لم يحتل فى المجتمع مكانة ذائعة . الباحث انسان يقرأ كثيرا ، يعلم كثيرا ، يلازم الكتب والمكتبات . وينشر ويؤلف ... الخ . وهذه امور لا تعلو متوسط الاشياء ، وهى مما يحصل بالصبر والمثابرة والإبتعاد عن متع الحياة ، وهى بهذا ليست خارقة ولا ما يصعب على طالبها . ولا أدل على ذلك من كثرة الباحثين بهذا المعنى ، وامكان كثرتهم .

ولكن ، لا ... ليس هذا هو البحث ، وان كان منه فهو شيء ضئيل ، وهو كالشعر الرديء . وهل يحتاج الشاعر الرديء الى موهبة ؟ لا .

البحث شيء أبعد مما يراه عامة الناس ، هو بحث وراء البحث . ان جمع المعلومات وضمها بعضها الى بعض لا يكون بحثا ، لانك لو وجهت ثلاثين طالبا في موضوع واحد لجاءوك باجابة واحدة أو متقاربة أو بثلاثين اجابة متكررة وشبه متكررة . وليس البحث الحقيقى على هذا الشان ، لانه قوة تتهيأ لفلان دون فلان ، وقد يوجد بين الثلاثين طالبا باحث واحد ، أو لا يوجد وقد يوجد في المئة ... أو الالف ... أو لا يوجد . انه روح وحياة وعقل .. انه اسلوب ان شئت .

ان البحث الذى يعده الباحث الكبير لا يتهيأ لكل من يطلبه ، وان القارىء ليجد فيه أشياء غير المعلومات المجمعة من هنا وهناك على طريقة مألوفة وجادة مطروقة . ان القارىء ليشعر انه ازاء عمل ضخم وأثر عميق عملت على شده عوامل كثيرة منها ظاهرة معروفة كالصبر والمثابرة والجمع المنظم ... ومنها غير منظورة لانها لا توجد الا فى هذا الباحث الكبير . كانت فيه استعدادا فطريا ، غذاه بالاكتساب والجهد ... والدربة حتى أتى أكله وأدى الى هذه الثمرة اليانعة . ولم لا نسمى هذا الاستعداد : « موهبة » ؟

لو تولى باحثان كبيران موضوعا واحدا سلكا اليه على مقتضى خطوات البحث العلمي التى اصبحت مقررة معروفة : الاختيار ، الخطة ، الجذاذات ، التحرير ... فان البحثين لن يكونا نسخة واحدة حتى ولو كانت النتائج واحدة أو متقاربة . انك من كل بحث إزاء شخصيتين محترمتين ، إزاء أسلوبين ، ازاء موهبتين .

أجل ، فلم لا يكون البحث العلمى موهبة خاصة ؟ انك لا تقدر ان تقول الآن ان أي انسان يستطيع ان يكون باحثا كبيرا ــ لانك اصبحت تشترط ما لابد منه للنجاح الكبير فى كل ميدان : الاستعداد الفطرى ... ولم لا نقول : الموهبة ؟

ان البحث المقصود ــ فى كتابنا هذا ــ يقوم على الماضي الذي اندرس ولم تبق منه الا معالم قليلة أهمها كلام على الورق ووراء هذا الكلام من النصوص الادبية عواطف وأخيلة وأفكار ونفوس ... ثم تقديم هذا الماضى الى ابناء الحاضر . وشرط النجاح الكبير لدى ابناء الحاضر : الحياة ، اي ان تجعل الماضي حاضرا وان تجرى الدم فى عروق الميّت . ولما كان الامر كذلك ، كان أهم عناصر هذه الموهبة امكان العيش مع الماضي والانسجام مع ابنائه : تراهم وتفهمهم وتحدثهم كأنك واحد منهم وكأنك انسلخت من عصرك وظرفك ــ الى حين[1] .

ويقتضي هذا العنصر قابلية « خارقة » على التصور والاستحضار والاسترداد والاستنطاق ... وقابلية على تجويد التعبير عما رأيت وامكان التركيب لما حللت .

ان الذين يقرءون كتب التاريخ كثيرون ، والذين يقرءون مخلفات الادباء كثيرون كذلك ... واكثر هؤلاء لا يأخذون من الورق الا ظاهره ، وقد يأخذون خطأه ، ويقعون فى متناقضه ، ويرون فى رديئه جيدا . أما الذين يخوضون عباب الاخبار والنصوص والمتناقضات ويعبرون الى الساحل الآخر ليروا الاشياء كما يمكن ان تكون قــد وقعت ، ومن ثم يعــودون سالمين يحدثون فيجيدون التحديث ويكتبون فيجيدون الكتابة ــ اما هؤلاء ، فقليلون ، وقليلون جدا . لانه لابد لهم ــ وقد عرفت الآن شرط وجودهم ــ من قابلية خاصة سميناها : الموهبة . وشأنهم فى ذلك شأن سائر الفنانين وتقوم موهبتهم على الاستحضار واعادة البناء في صدق واخلاص بعيدا عن شطحات الوهم ومعرّات العصبية . ان الماضي لفي نفوس هذا النفر ، وهو عندهم غير منقطع عن الحاضر ــ والمستقبل أيضا .

المسألة ــ اذاً ــ أخطر مما تصورنا ، وما كل باحث باحثا ، فما العمل ؟ وما موقف درس منهج البحث فى الموضوع ؟

موقفه واضح ــ وربما كان ذلك منذ البداية ، ولا بأس فى تكرار :

---

(١) ينظر بدوى ــ مناهج ١٨٣ .

١ ـ انه يعترف جيدا بالاستعداد الفطرى وبالشخصية وبالاسلوب ... وباختلاف وقع بحثين فى موضوع واحد لباحثين كبيرين .

٢ ـ ولكن هذا لا يعني شيئا كثيرا لديه اى انه لا يحول ابدا دون الدرس والمضي فى فصوله : اختيار الموضوع ، الخطة ، المصادر ... الخ .

٣ ـ لان الغاية المدرسية الاولى منه توفير قدر متوسط من منافعه لعامة الطلبة .

٤ ـ ولانه لا يشترط فى طالب البحث الموهبة والابداع فذلك تكليف فوق الطاقة لا يلتزم فى الدروس الاخرى فكيف يلتزم هنا ؟ ولماذا ؟

٥ ـ اذا سرنا فى الدروس وانتفع العامة فى حدود طاقتهم ، انتفع الخاصة بقوة قابليتهم ووجدوا أنفسهم ودلوا عليها ، وأومأوا الى باحث الغد ... المنتظر .

نصائح على الابواب :

تكاد تكون الصفحات التى قرأناها ، ولاسيما فى الفصلين الاخيرين مجموعة من النصائح تنفع طالب البحث وتعينه على مهمته ، ومثل هذين الفصلين الفصول الاخرى القابلة ؛ ومع هذا ، فلدى المؤلف نقاط يود ايضاحها فى مكان خاص خشية الا تجد طريقها الى فصل من فصول كتابه ، وانها ان وجدت مجالا فلن تجده الا ضيقا او ضيقا جدا .

ومن هذه النصائح :

١ ـ انك فى أول الطريق ولا تعرف عن نفسك شيئا ، والمعقول ان تسير حتى تتكشف لك الحقائق ، أما أن تحذر وتخاف (وقد تنكص) منذ البداية فذاك غير صحيح . زد على أنك وقد بلغت هذه المرحلة من الدراسة متوفر على الحد الادنى المطلوب فى البحث والمنهج ، وانك تستطيع ـ على أي حال ـ أن ترتفع بهذا الحد مقدارا . فما كان الباحثون الآخرون فى بدايتهم خيرا منك ، ولم تتهيأ لهم من الفرص ما يتهيأ لك ـ ويبقى الامر ـ بعد ذلك ـ موكولا بك لدرجة غير قليلة .

٢ ـ لا تتردد كثيرا ... ولكن لا تستسهل الصعب فى حماقة . ويبقى

لك بعد هذا شيء من التأني والتأمل ثم العزم والجزم قبل فوات الاوان — ولابد من قدر معقول من الثقة بالنفس •

٣ — لا تبحث عن الموضوع السهل ، والاستاذ السهل ••• والنجاح السهل ، فقد يفوّت ذلك عليك كثيرا من الفوائد والمتع • أولى بك ان تطلب الاستفادة الكبرى — ولابد من الجد والاجتهاد •

٤ — اربأ بنفسك أن تتكل على الآخرين ، وترفع عن النقل والسرقة فذلك يضرك حتى فى حالة النجاح الموقت • كن أكثر احتراما لنفسك من الآخرين — والبحث كرامة كما هو أشياء أخرى •

٥ — اذا عزمت على البحث فوطّد العزم ونفذ ••• وسر دون توقف لراحة أو لهو على أمل أن الوقت المحدد لك (وليكن شهرا ، شهرين ••• سنة ، سنتين ••• خمس سنوات) كاف • ولم العجلة ؟ أستطيع أن أستجم قليلا ، استمتع بالحياة بعيدا عن هذا الجهد المضني بين الكتب ، ومن ثم ، فى النصف الباقي من المدة المقررة انهي كل شيء •

أقل أخطار هذا المبدأ فقدان الصلة بالبحث ، وخسران عنصر المعايشة وما تؤدي اليه من انسجام وفهم وألفة وجو ، والجور على عناصر الاصالة والشخصية المتميزة •

اما الخطر الآخر — والامر واقع — فهو انك تستطيب الراحة وتظل تحت سلطانها ، وفى كل يوم تقرر ان يكون البدء صباح غد ، حتى اذا جاء الصباح أجلته الى المساء ، فاذا حل المساء لم تجد فى نفسك الهمة ، فأجلت وأجلت دون فائدة ، والوقت يمضي ويمضي والساعة تدور وتدور وتقارب المدة أن تنتهي دون ان تقدم شيئا يذكر ، فتكون العاقبة وخيمة يتصل الخسران المادي فيها بالمعنوي ، وتتسم الصفحات القليلة المشوشة التى كتبتها بكثير من القلق والاضطراب النفسى — ولا تتحدث عن الندم •

البحث لا يمزح — أما سمعت بحكاية السلحفاة والارنب — فى الاقل •

٦ — لا يقف البحث عند وقت معين ، اى ان اى بحث يمكن ان يستغرق ما لا نهاية له من الوقت ، او انه يستغرق اكثر مما تقدر وما تملك مهما تكن جادا ساهرا ، لان المسألة هنا ليست مسألة السهر وحدها

وانما هى مسألة التشعب وما يجد من مشكلات و « جيوب » غير منتظرة ، ولان الكمال طويل الامد ...

— فماذا تفعل والوقت أمامك ـ في الجامعة ـ محدود ؟

— تزن موقفك وتزن وقتك وترسم لنفسك نهجا تنتهى بمقتضاه من بحثك فى أقل من المدة المقررة ، $\frac{3}{4}$ منها او $\frac{2}{3}$ منها ، فاذا كان امامك ثلاث سنوات عزمت على ان تنجز عملك فى سنتين (او ما حول ذلك) .

ولا يعنى هذا انك ستنتهى فى سنتين ، وانما يعنى انك ستنتهى فى ثلاث ، مستغلا السنة الاحتياط لحل المشكلات غير المنتظرة ـ وهى منتظرة ـ فتسير بذلك من غير ارهاق أو قلق .

وأهم ما يعني تنفيذ القرار لديك أن تضاعف جهودك فتعمل اثنتى عشرة ساعة فى اليوم بدل ثمانى ساعات ، وهكذا .

ثم تسد الابواب التى تتفتح جانبيا ، والشعب التى لا تؤدى الى مخارج، والثانويات التى لا تتصل بجوهر الموضوع ، اذا سددتها انصرفت الى صميم البحث قدما ، وهكذا يفعل الماهرون ، اما الباحث المبتدىء أو غير المنهجي فيفرط بالجهد الذى يبذله فيمضي أياما وأياما فى مسائل حقها الاهمال او الوقفة العابرة .

٧ ـ العلوم المساعدة :

لديك فى موضوع أدبي : شاعر أو غرض أو اتجاه أو عصر ... وأول ما يطلب منك العلم بمادة موضوعك . وقد ألممت ، فهل يكفى ذلك ؟ لا ، وان كان المامك هذا أساسا مهما ، لان هناك علوما أخرى لابد منها تعينك على جمع مادتك على وجه أحسن ، وتزيدك فهما لجوانبها وانارة لزواياها ، وتوصلك الى اسرارها ، وتوسع من أفقك فى مدارها وتقربك الى ما لا تمتد اليه يدك بالمادة الخاصة وحدها . انها ـ فى كلمة واحدة ـ تساعدك على انجاز مهمتك ، ولذا دعيت : العلوم المساعدة .

ومن هذه العلوم ما هو قريب جدا من دائرتك كالنحو والصرف والبلاغة والعروض ... وفقه اللغة ... والتفسير والحديث الى ما هنالك

مما يكون وحدة بين الجوانب الادبية للعمل الواحد •

وهناك ما هو ابعد قليلا كالتاريخ والجغرافية •• ثم علم النفس والفلسفة وعلم الاجتماع والاقتصاد والسياسة ••• ومن الدارسين من أدخل فى العلوم المساعدة العلم الصرف من طبيعيات ورياضيات ولم يكن على خطأ عندما تكون لهذه العلوم صلة ما بجانب من الجوانب •

ان كل علم يساعد على جلاء غامض ويدل على خفي ••• انما الخشية فى المبالغة التى تضيع الخصوص فى خضم العموم •

على ان امرا أصبح مهما جدا فى كل دراسة الا وهو اللغة الاجنبية الحية ، لما تفتح هذه اللغة من أبواب ولما تدلك عليه من بحوث متصلة بعملك أو مناظرة له ، ولما تهيء لك من مصادر مكملة لعملك فى موضوع تشتبك احداثه بين أكثر من أمة واحدة •

٨ ـ الدفتر المساعد :

انك تريد ان تبحث وقد عزمت فاحمل معك ـ منذ الان والى الاخير ـ دفترا لا بأس فى ان يكون غزير الورق ويفضل ان يكون ذا أوراق منفصلة كالاضبارة (لفكس) •

ولنسم هذا الدفتر بالمساعد لما يمكن ان تكون له من فائدة وان يؤدى من خدمة • لانه سيكون رفيقك بالملازمة وذخرا بما ستودعه ومعينا اذا ضاقت بك ذاكرة •

تحمل هذا الدفتر منذ اللحظة الاولى وتستطيع ان تكتب فيه كل ما يعنّ لك مما يتصل بالبحث من خير وشر ، من آراء ومصادر ومراجع وأسماء ومواد ••• تكتب ذلك قبل البدء ، وتستمر عليه فى كل خطوة •• وحتى النهاية وما بعدها •

تراودك موضوعات ، سجلها • تدخل مكتبة وتستعير كتابا ، سجل اسمه ورقمه • ترى صديقا وتناقشه فى أمر ، ثبّت خلاصة المناقشة • تنتظر ان تحتاج ورقا واقلاما وجذاذات ودبابيس ••• ومجلّد كتب ، احفظ ذلك فى الدفتر •

تكتب في هذا الدفتر اشياء فى كل مرحلة ممـــا مرّ أو يمر بك ، اختيار الموضوع ، كيف وأين ؟ مصادر ومراجع ، أين وما رقمها ؟ تمر بذهنك خطة ، أية خطة ، سطّرها تخالجك خاطرة عن موضوعك ، احفظها فى دفترك ، فقد تبحث عنها فيما بعد فلا تجدها .

قد تكون في مرحلة الخطة وانثالت عليك افكار تتصــل بالتبييض او الخاتمة ، فالخير ان تقيدها . وقد تكون فى باب متأخر ويرد على ذهنك شىء يتعلق بالمقدمة أو بالفصل الاول ، فالمعقول ان تضبطه .

قد تقرأ فى كتاب عن غير قصد اسطرا ذات صلة ببحثك ، وقد تمر بك فى مجلة أو جريدة سطور ليست بعيدة عن موضوعك ، فما الذى يمنعك من ان تفتح لها صدر دفترك فتحفظها من الضيـــاع . ومن يضمن انك لا تحتاج اليها .

عنوانات المكتبات ، عنوانات الاساتذة ، اسماء من مؤلفات الاساتذة ، أماكن تلقى فيها محاضرات ، سؤال تريد أن ترفعه لاستاذك ، مخطوطة تريد ان تعرف شأنها ... كل ذلك – وما اليه – تكتبه بأسرع ما يمكن فى دفترك المساعد : صديقك وحافظ سرك .

ولا بأس فى ان تكون الكتابة مبوبة شيئا : صفحات متقاربة للمصادر والمكتبات ، صفحات متقاربة أخرى للمقدمة والتمهيد ... للاستاذ ... الى آخره ؛ الا ان التبويب ليس شرطا اذا ادى الى تأخيرك عن الهدف . وخير من هذا الشرط – ومعه – السعة فى الهوامش لتكتب عليها بالاحمر دليلا على المادة .

وفى أول فرصة ، تنقل من هذا الدفتر ما يلزم نقله الى مكانه المناسب .

و لا تنسَ ان تنظر فيه بين حين وحين وفى كل خطوة .. انه تذكرة من النسيان وموضع للسر ...

وسيرد ذكر هذا الدفتر مرارا على صفحات من هذا الكتاب .

٩ – في عام ١٩٣٨ آلم استاذا فرنسيا اهمال الجامعات الفرنسية تعليم طلبتها « فن العمل » وراعه ما رأى من جهل فى هذا الباب يؤدى بالطلبة

الى ضياع وقت طويل دون فائدة مناسبة ، فأدلى بمجموعة نافعة من النصائح ، نستخلص منها :

١ ـ لا تقم بأكثر من عمل واحد فى وقت واحد .

٢ ـ نظّم حياتك وادخر من يومك وقتا لراحتك ونزهتك ومتعك ؛ ولا تصدق الحكايات التى يسردها كتاب التراجم من أن العالم الفلانى (او السياسى الفلانى) يعمل ١٥ أو ١٦ أو ١٧ ساعة متصلة فى اليوم ، لانه لابد للانسان من وقت للنوم والاكل والنزهة والزيارة ..

٣ ـ دار جملة قواك ، وارفق بأعصابك وكن هادئا ولا تعمل بجهد مرهق مهلك يجرك الى فترات من الجمود . انك اذا سهرت طويلا فسياتى عملك فى اليوم التالى هزيلا جدا ، وقد تعجز عن أى عمل .

٤ ـ حدد سلفا ، وفى مساء كل يوم ، ما تريد ان تعمله غدا .

٥ ـ ان اطالة الاقامة فى المكتبة يعنى اضاعة الوقت اذا كانت قراءتك سالبة ، اى اذا كنت تقرأ كثيرا دون اختيار ولغير صلة بالموضوع الذى تبحثه.

٦ ـ لا تعتمد ابدا على ذاكرتك وحدها . وليكن لك نظام وطيد فى اقتباس المادة من مصادرها وايداعها الدفاتر او الجذاذات .

٧ ـ من المؤكد ان الذكاء ليس السبب الوحيد للنجاح فى الحياة ، لان المنهج والثبات والسيطرة المحكمة على ما فينا من قوى أهم مما لنا فى أعماقنا من ثراء[1] .

---

(1) P. DE LABRIOLE - L'Art de travailler, dans la Revue Bimensuelle des cours et Conférences, 39e année, 15 Fevrer, 1938.

كأنه يريد ان يقول : ان المنهج أهم من الموهبة ، ولعله يقصد بذلك الى بيان أهمية المنهج وان الموهبة وحدها لا تجدى كثيرا ما لم يكن منهج يستغلها على الوجه الاصوب .

الفصل الثالث

اختيار الموضوع

يحدث في البحث الصفي أن الاستاذ هو الذى يحـــدد الموضوعات ويوزعها على الطلبة (وقد يدع مجالا للاختيار والتغيير وقد يصر على رأيه الاول) وهو بعمله هذا يسهل كثيرا من الامر على الطلبة ويوفر لهم وقتا وجهـــدا .

وهذا ممكن ومقبول فى المحاولات الاولى من السنوات الاولى . ولكن المعقول ان يختار الطلبة موضوعاتهم بعد عهد المحاولة . وقد يصبح المعقول لازما ــ وهو الانفع . لاننا نعد الطلبة لعالم أوسع من عالم الكلية يطلب منه فيه اعتماد النفس . وهنا يعلن الاستاذ الى طلبته ان يهيئوا موضوعات للبحث الصفى ، وقد يحدد لهم العصر الذى يختارون منه ، ويمنحهم مدة مناسبة يعودون بعدها اليه يحملون مختاراتهم . ويحتاط الاستاذ (ويجب ان يحتاط الطالب كذلك) فيطلب تهيئة أكثر من موضوع واحد . وقد يطلب ثلاثة لانه سيرفض ما لا يصلح ، وما يقل صلاحه ؛ وقد يضطر لانه يرفض كل ما يقدمه هذا الطالب أو ذاك .

عندما يجد طالب نفسه فى ظرف يفرض عليــــه ان يبحث ، يحس

ـ عادة ـ بحيرة وهو يسعى لاختيار موضوع للبحث ، اما لكثرة هـــذه الموضوعات ، واما لجهله ، واما لغيابها كلها عن ذهنه أو لاضطراب المتوارد منها على خاطره بحيث يضيع ويصعب ان يجد طريقه الى الصالح منها •

أجل ، ليس اختيار الموضوع سهلا ، فما كل موضوع موضوعا ، وانما الامر مقيد بشروط تزيد الموقف حراجة ، وحسبك ان يكون من هـــذه الشـــروط :ـ

١ ـ الدقة والوضوح • ليدل الطالب على عقلية نقية ، ولينطلق منطلقا سليما من غير تلكؤ ومحاولة وخطأ •

٢ ـ الجدة • ولابد من ان يكون البحث غير مطروق وغير مبتذل لكي يكون للطالب فيه شخصية وليبذل في اعداده جهدا ولئلا يتعود الكسل او السرقة فتفوته الفائدة التى أقرت من أجلها الابحاث •

٣ ـ وفرة المصادر • ان الموضوع الذى تقل مصادره بشكل مفضوح أو أن يكون الكلام عليه مسهبا في مصدر واحد أو مصدرين فقط لا يصلح للاختيار ، لان العمل فيه لا يعدو التلخيص ولانه لا يزود الطالب خبـرة باستعمال المصادر ، ولا يهيىء له دليلا على المراجعة والتقصي •

ان عنصر الجمع من هنا وهناك من العناصر الاساسية فى البحث •

٤ ـ مناسبته للمرحلة التى هو عليها • فاذا كان صفيّا وقدر له الاستاذ المختص الحجم المناسب بين الـ ١٠ والـ ٢٠ صفحة ، حسبنا هذا الحساب وضيقنا الدائرة ، واخترنا موضوعا محدودا او جزءاً من موضوع كبير ، أو زاوية من عصر او جانبا من حياة ، بحيث لا يكون مجموع المعلومات المتناثرة فى مختلف المصادر كماً كبيرا •

ملاحظة : يستحسن ان يأخذ الطالب ما هو أقرب الى نفسه ورغبته وتجربته ليدفعه ذلك الى العمل والتضحية وليشعره بالمتعة وليعينه على الفهم والتفهم • ولكن هذا لا يمنع ان يقبل موضوعا لا رغبة له فيه ولا علما له به سابقا • فقد يحس برهبة ازاء هذا النوع من الموضوعات ولكنه ما يكاد يبدأ ويسير حتى ينسجم واياها • وقد تزيده لذة الاكتشاف سعيا واجتهادا ـ ومن المناسب ان يتعود المرء ركوب الصعاب فى مرحلة التدريب • ولا بأس فى

ان تحمل نفسك على المكاره لتتعود تذليلها ولتعد نفسك لشيء يمكن ان يقع عليك يوما ما • بل انى لأرى ان الموضوع الصعب اسهل من غيره ، لانك فى الموضوع السهل لا تحقق شيئا وتضيع انت وموضوعك ، اما فى الموضوع الصعب فتكسب تجربة ورأيا ومكانة •

اذاً ، فما العمل ؟ وكيف ينهج الطالب من اجل اختيار موضوعه ؟ وما المفاتيح ؟

ان الشروط تبدو قاسية لطالب يواجه البحث الجدى اول مرة ، او لمرة يمكن ان تقرر مصيره ، ولكن الصمود والتأمل يكفلان بداية الطريق — في الاقل •

يستطيع الطالب ان يجد موضوعا مناسبا باستعادة الماضى واستعراض دراسته السابقة والاستعانة بمطالعاته فيبعثه ذلك على تذكر امر كان قد استوقفه يوما ما ، والظفر بعنوان كان قد استهواه — او يمكن ان يستهويه — لقربه من نفسه وتعلقه باهتمامه •

اذا خاب الطالب فى هذا المسعى ، حسن ان يرجع الى كتاب من المراجع العامة فى تاريخ الادب وما اليه ، وليكن كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » لجرجى زيدان (ط٢) لما فيه من شمول لفنون الادب واطواره وذكر لادبائه البارزين وغير البارزين مع نص على المهم من الآثار والمصادر والمراجع •

ولا بأس بكتاب « تاريخ الادب العربى » لبروكلمان ، ودائرة المعارف الاسلامية وما الى ذلك من مراجع عامة معتمدة تسهل المهمة وتنير أوائل الطريق — ولا تنس « أعلام » الزركلي •

ولا بأس « بتصفح » المصادر القديمة كالاغانى ••• واليتيمة ••• والوفيات ••• ولا بأس كذلك من جولة فى أروقة المكتبات العامة ونظرة فى فهارسها •

ولتعلم انه اذ يطلب اليك البحث عن موضوع ، يطلب منك العلم بالموضوعات المطروقة لان عرضك موضوعا أو موضوعين معروفين يقلل من أهميتك لدى استاذك وقد يدله على جهل عام وقصر فى المتابعة وبعد عن

الجو – ولا يقوم بعذرك ان المبحوث كثير لا يحاط به ٠

أما الاستعانة بالباحثين والنابهين من الطلاب والاساتذة والأدباء ٠٠٠ فيجب ان تؤجل الى آخر الامر ولدى العجز التام ، لان اللجوء المبكر اليها دليل ضعف وبرهان على كسل واشارة الى انك ستستمر فى طريق اعتماد الاخرين فى الخطوات التالية ، وهذا يضرك ، ولا يهيىء لك التجربة اللازمة والخبرة التى تفيدك فى مستقبلك القريب والبعيد – ولا ينفعك ان تردد : « كم ترك الأول للآخر ؟ » فما زال الباقى ينتظر من يكتشفه ٠

يختار الطالب اكثر من موضوع فى اكثر من لون[1] ويقدمها الى أستاذه ليتفقا على الأنسب ٠ وقد ترفض هذه الموضوعات كلها فيعود الطالب يبحث عن غيرها موسعا من عالم سعيه السابق ٠ ولا يستحيل ان ترفض موضوعاته مرة أخرى أو أن يفرض عليه الاستاذ موضوعا لم يمر بباله ٠ ولابد له من ان يقبل كل هذه الاحوال رحب الصدر غير متذمر لئلا يدل على عجز أو خور او ميل الى الراحة فيضيع على نفسه فرصة ان تكون له مكانة عند استاذه او يضيع مكانة كان قد حصل عليها من قبل ٠

وليعلم انه ما يزال فى عهد الطلب وقد يكسب بالموضوع الذى أرغم عليه فائدة لم يكن ليكسبها فى الموضوع الذى اختاره او استسهله ٠

ان الاستاذ يضطر الى فرض الموضوع فى حالات معينة كأن يكون الموضوع يهمه اذ يتمم به بحثا قام به هو ، او يكون فى شك من مقدرة طالبه ، وشك فى ان يكون الطالب نفسه قد اختار موضوعه وهيأ له المادة ٠

ان تجارب مرة تحمل الاستاذ على سوء الظن ٠ وما على الطالب الا

---

(١) هذه الالوان قد تكون علما أو غرضا أو عصرا أو لغة ٠٠٠ ولكل منها محاسن ومساوىء ٠ وقد ألف الدكتور شكرى فيصل كتابا بعنوان « مناهج الدراسة الادبية » عقده على الاقسام الاتية : النظرية المدرسية ، نظرية الفنون الادبية ، النظرية الثقافية ، نظرية المذاهب الفنية ، النظرية الاقليمية ، وهو فى كل قسم يبين المقصود من النظرية وما يؤيدها وما يفندها ٠ ثم دعا الى دراسة الادب على أساس المدارس (دمشق ، ط ٢ ، المطبعة الجديدة ، يطلب من المكتبة العربية ، ١٩٦٥ – وكانت الطبعة الاولى سنة ١٩٥٣) ٠

ان يعمل على كسب حسن الظن بالطرائق المناسبة المشروعة •

★ ★ ★

هذه هى الخطوط العامة لاختيار الموضوع ، وهى تشتد قساوة كلما تقدم الزمن بالطالب واختار مرحلة جديدة من مراحل الدراسة العالية ونوعا جديدا من انواع البحث •

والمالوف فى الابحاث الصفية ان يتفق على موضوعاتها فى الصف خلال ساعات يخصصها الاستاذ لذلك • اما الموضوعات الاوسع فتجرى انفرادا ، اى ان الطالب يرجع الى استاذه خارج الصف ••• فاذا كان الطالب معروفا لدى الاستاذ هان الامر ، والا فعليه ان يستعد لرحلة لا تخلو من قساوة •• وأهم ما عليه التزود به فى هذه المرحلة كسب ثقة الاستاذ الجديد ، ولا تاتى هذه الثقة عبثا ، وانما تقتضي ـ فيما تقتضي ـ اقناعه بأنك تعلم من شؤون البحث العلمى الكثير ، والا خسرت الجولة الاولى • وقد تجر هذه الى خسارة الجولات التالية اذا لم يكن لديك ما يزيل غبارها عن نفس استاذك •

وتذكر دائما ان وقت الاستاذ ثمين ، وانه لا يريد ان يتولى عنك ما هو عليك ، ولا يسره ان يبذل جهدا ضائعا فى حديث متشعب خارج النطاق •

لقد اصبح صعبا على الطالب ان يختار موضوعا لدراسة علمية تستغرق كتابا لكثرة ما انتج الباحثون المعاصرون من دراسات ، ولانتشار الجامعات والرسائل الجامعية ؛ ومع ان عددا لا بأس به من هذه الرسائل لم يستوف شرائط البحث العلمى ، ان وجودها فى اطار جامعة ما يحول دون اعادة بحثها لدى تلك الجامعة ـ في الاقل ـ ما لم تمض مدة معينة تبلغ في اكثر الاحيان عشر سنين •

كما انك قد تختار موضوعا لرسالتك فى جامعة من الجامعات ثم يظهر انه مسجل أو مبحوث فى جامعة أخرى • ومع ان هذا لا يلزمك تغيير الموضوع الا انه يثبّط من الهمة ولاسيما اذا كانت المصادر واحدة أو متقاربة • وكم يكون مناسبا وحسنا لو ان الجامعات تبادلت العلم بالموضوعات قبل اقرارها ، ولو ان الجامعات العربية ـ فى الاقل ـ فعلت هذا !

ان كل جامعة تحتفظ بسجل للموضوعات المسجلة فيها ، وهى تنظر

في هذا السجل قبل ان توافق على موضوعك ـ وقد يكون هذا في مصلحتك وانه يلزمك بالرجوع الى التسجيل قبل السير في خطوات الاختيار •

ونصيحة أخرى ••• انك اذ تصل الى الموضوع لا تذهب الى استاذك سريعا ، بالعنوان وحده • لانه سيتحدث معك وسيناقشك وعليك ان تبدو عارفا بالمهم من جوانب الموضوع : مادة ومصادر ، وعصرا والا قلّت قيمتك لديه وساء ظنه بك •

★ ★ ★

وهناك نوع من التقليد خلاصته أن الجامعات لا تقبل موضوعات معاصرة • وقد يكون في وجهة نظرها من الاسباب الموجبة ما يأتي :ـ

١ ـ ان الموضوع المعاصر لما ينضج ويأخذ سمته الكامل ، وليس من اللائق ان تدرس جامعة شيئا قبل تمامه ؛ فقد يكون عابرا يموت سريعا ، وقد تكون بدايته شيئا ونهايته شيئا يختلف ، وقد ••• وقد •••

٢ ـ ان المعاصرة يمكن ان تقتضي من التعصب اكثر مما يقتضيه الماضي وبذلك يصعب توفير عنصر الموضوعية • انك في المعاصرة مع فلان ومع الجهة الفلانية تجمع كل ما تستطيع ان تدعم به وجهة نظرك ؛ او انك على فلان وعلى المذهب الفلاني تحشد قواك لتنزله دون حقيقته •

٣ ـ انك في المعاصرة أعلم عادة من استاذك ، وقد تدس عن علم ـ أو غير علم ـ من الاخبار والآراء ما لا حقيقة له ولكنك تدّعي انك استقيت الاشياء من منابعها ، وما على استاذك في هذه الحالة الا المجاراة •

٤ ـ يقوم البحث على استعمال المصادر ، وليس للمعاصرة من المصادر ـ بالمعنى المألوف ـ ما للماضي •

٥ ـ تمثل الجامعات ـ في الغالب ـ المحافظة والتقليد وقد نشأ البحث أول ما نشأ معتمدا الماضي ، ولم تكن الجامعات لتعترف بالحاضر ، وكثيرا ما سخرت منه ، حتى اذا أصبح هذا الحاضر ماضيا ووجد ما ينبه عليه ويدعو له ، اعترفت به وانصاعت الى الامر الواقع •

للجامعات ـ كما رأيت ـ ظروفها وتقاليدها ومفاهيمها ، ولكنها قد

تخسر فى موقفها قدر ما تظن أنها رابحة ، وان حججها يمكن ان تناقش واحدة واحدة •

١ – ليكن الموضوع المعاصر فى بدايته ، ولكننا اذا درسنا البداية ضمنا فصلا أو فصولا من النهاية • واذا كان عابرا ، فلم لا ندرسه ونعرف صفاته واسباب زواله السريع • ألم ندرس فى الماضى أمورا طرأت وعبرت•
٢ – ولم الخوف من التعصب ؟ انه يمكن ان يقع في الماضي كما يمكن ان يقع في الحاضر ، وان الباحث الباحث من استطاع ان يلتزم الحيدة ، والا فما هو بباحث •

٣ – اما مسألة كونك أعلم من استاذك ••• فانك قد تكون كذلك فى موضوعات قديمة ، فما كل موضوع تدرسه كان الاستاذ قد سبر غوره وألف سره ، بل قد تكون القاعدة ان الطالب اعلم من استاذه فى الموضوع الذى يؤلف فيه تحت اشرافه كأن للاستاذ الاشراف ، وعلى الطالب العلم بالتفصيلات •

ثم ان الاستاذ يضطر فى موضوعات الماضى ان يرجع مع الطالب الى مصادر لم يكن قد ألمّ بها، او انه ألمّ بها الماما عاما وعليه الآن ان يتبحر فيها • وقد ، وقد ؛ فلم لا يكلف نفسه مشاركة طالبه فى المصادر المعاصرة ولاسيما اذا كان من اساتذة الادب الحديث فى الجامعة •
٤ – وكما ان للماضى مصادره التقليدية ، يمكن ان تكون للمعاصرة مصادرها التى تنسجم وطبيعتها ، تضمها الى ما علمت من مصادر اذ اقل ما فى المعاصرة انها ستصبح ماضيا ، واننا اذا كنا نشكو فى دراستنا التقليدية قلة المصادر التي خلفها الماضي ، فلم لا نتعظ ؟ ونهيىء لدراسة المستقبل مواد أجدر بالاهتمام مما لو ترك الحبل على الغارب •
ومن هذه المصادر الجديدة :
أ – الاديب نفسه • تقرأ آثاره فى حياته وتسجل ملاحظاتك عليها وتتصل به تسأله وتناقشه وتأخذ منه المعلومات اللازمة عن حياته ومكونات شخصيته •••

وكذلك تفعل مع أدباء الاتجاه الواحد •• والمذهب الواحد •••

ب ـ اصدقاء الاديب أو الادباء ، وأقاربه وأقاربهـــم ••• اعــداؤه واعداؤهم ••• تجمع وتسمع وتناقش ورائدنا الحقيقة لانك باحث •

جـ ـ وسائل النشر المعاصرة • الجرائـد والمجـــلات ، الاذاعة ، التلفزيون ، الافلام ••• الخ •

انا ان لم نستفد من هذه الوسائل فى حينها ، صعب علينا الاستفادة منها غدا •••

٥ ـ أما المحافظة ، فلسنا مقيَّدين بظروفها القديمة ، والمفروض ان نكون اكثر تحررا من قيود لم تثبت صحتها المطلقة •

ومع هذا ، ومع وجاهة المناقشة تبقى الجامعات على موقفها السلبى من المعاصرة ، واذا تسهلت ، تسهلت قليلا فسمحت بشىء من الحديث الـذى كاد أن يصبح ماضيا ، وبشىء من المعاصر الذى أخذ سمته ودلف ـ شخصا أو مذهبا ـ نحو المغيب او دعا بوجوده الى الاطمئنان •

★ ★ ★

ليس البحث فى المعاصرة أسهل من البحث فى القـــديم ، ولم نرد بالمناقشة الى تسهيل البحث وانما اردنا ان نوسِّع دائرة اختيار الموضـــوع ونخفف على الطالب الثقل الذى ينوء به •

على ان كلمة « التخفيف» هذه لا تغير ما سبق قوله من ان الموضوع الاصعب أنفع ، ولا تمنعنا من أن نؤكد ان الانسب فى الموضوع ان يؤدى الى معانٍ انسانية عامة ، وان يستثير فكر القارىء اينما كان ، وان ينطوى فى محليته على بذور من العالمية •

وليعلم الطالب سلفا انه قد يختار موضوعاً يقره أستاذه عليه ويسـير فيه ويقطع الشوط والشوطين ثم يضطر الى تعديل فيـه توسيعاً أو تضييقاً فيتفق هو واستاذه على صورة جديدة يمكن ان تستدعى خطوات رسـمية لتثبيتها •

وقد يضطر على الاقلاع عن الموضوع المختار جملة كأن يظهر ان الموضوع مبحوث من قبل بحثا عميقا أو ان المادة المجمـوعة لا تفى بالمرام ولا تدل على ما يستحق بذل الجهد •

الفصل الرابع

الخطـة

اذا تمت مرحلة اختيار الموضوع انتقلت الى مرحلة رسم الخطـــة Plan (=Plan) وهى مرحلة مهمة جدا في البحث لانها تحدد أبعـاده وامكان صلاحه •

والخطة ـ اذا كان لابد من تعريف ـ رسم للخطوط التى سيســير عليها الموضوع ، وللصورة التى سيكون عليها ، وقد تكون أشبه بالهيكـل العظمى • وما لنا وللهيكل العظمى وقد أصبحت مألوفة فى كل شىء ، وقبل كل شىء ، فنحن نسمع بالتخطيط ووزارة التخطيط ••• اما الخارطة التى يضعها المهندسون لما ستكون عليه البيوت والعمارات ••• والجسور والطرق فهى من الالفة بمكان • هى شرط ـ قبل البدء ـ فى كل عمل منهجى منظم يراد له النجاح •

هى مثل خارطة المهندس بل تزيد • لان المهندس يتعامل غالبـا مع مواد جامدة يستطيع ان يتحكم بها و « بمواصفاتها » • أما فى البحث العلمى فأنت تضع الخطة ولا تملك من أمرك الا اشياء عامة قد تكون يســيرة ،

ويصعب عليك بهذا القليل الذى لديك ان تحكم وتقرر سلفا ما سيكون عليه عملك •

يطالبك استاذك (وتطالب نفسك) بخطة ـ بعد الاتفاق على الموضوع (أو صحبة كل موضوع مقترح لانها جزء متمم له ودليل من أدلة نجاحه) •

قد تكون الخطة موجزة وقد تكون مفصلة • والثانية أهم وأدل لانها تقتضي الماما واسعا بالموضوع ومصادره الاساسية ومشكلاته وقضاياه ، فهى أقرب الى البحث نفسه وان شئت هى مشروع البحث Project لانها اكثر من خطة ، اذ يمكن ان تنبجس لك عنها خطة موجزة ، اذا أخترت الايجاز ، ذلك أن الخطة الموجزة الناجحة ما كانت ثمرة لخطة مفصلة •

ومن الاساتذة (ومن الجامعات) من لا يقبل الخطة الا مفصلة مسببة الاجزاء مؤيدة بالمهم من المصادر والمراجع •

ومع ان لكل موضوع طبيعته التى تقتضي خطة خاصة به ، وان لكل باحث شخصيته التى تدير الخطة على القطب الذى يوائمها ••• ان هناك نقاطا عامة ـ غير الالمام بجوانب الموضوع ـ يجدر بالباحث أن يلم بها قبل الشروع • ومن هذه النقاط :

١ ـ التبويب • ان أهم ما تستوجبه الخطة تقسيم الموضوع وتجزئته لكى يمكن توزيع المادة المجهزة والافكار المنبثقة عنها على هذه الاجزاء بحيث يستوعب الموضوع ويستوفى كلا فى مكانه المناسب ؛ وان يرتبط بما قبله وما بعده ارتباطا تطوريا متماسكا ، سابقا أولُ الاحداث فيها آخرَها ، فيتألف من مجموع الاجزاء كيان كامل حي يشد بعضه بعضا وكل شيء فيه يقود الى النتيجة • ان التجزئة لا تعني « التقطيع » وانما تعنى لمّ الابعاد واثبات الوحدة •

اننا نجزيء العمل من اجل تسهيل العمل ، ولكننا لا نجعل التجزئة غاية ، وانما هى اجزاء ضمن وحدة وانها سبيل الى زيادة الحياة والحركة او سبيل الى رصد مناطق الحياة والحركة ، والا فقدت معناها وخرجت عما وضعت له •

يقسم البحث الصفي الى فقر واسعة يمكن ان تسلسل بالارقام :
١ ، ٢ ، ٣ ••• الخ ، ويمكن ان تسمى فصولا على سبيل التجوز وبمعنى من معاني التدريب والاعداد للمستقبل •

ولا بأس في ان يقسم موضوع ينتظر له آن يتم في حدود مئة صفحة الى فصول (قصيرة) • أما ما زاد على ذلك الحجم فيكون نظام الفصول فيه شرطا •

فاذا كانت الزيادة محدودة اكتفينا بالفصول المتسلسلة : الفصل الاول ، الفصل الثانى ، الفصل الثالث •••

ولدى مضاعفة الصفحات : ٢٠٠ ، ٢٥٠ ••• الخ وكانت الوحدة الكبيرة مما يمكن أن تقسّم الى وحدتين أو ثلاث ••• متوسطة ، وكانت الوحدات المتوسطة مما يقسم الى وحدات أصغر ، ليست صغيرة جدا حسن ــ بل وجب ــ رسم الخطة على أساس الابواب : الباب الاول ، الباب الثانى (الباب الثالث ــ ان اقتضى الحال) ثم يقسم كل باب الى فصول خاصة به ، فيقسم الباب الاول الى : الفصل الاول ، الفصل الثانى ، الفصل الثالث ••• وهكذا •

ويحدث ــ خارج البحث الجامعى المعد من أجل درجة علمية عادة ــ ان يقتضى الموضوع اتساعا وتشعبا ، وحينئذ ترى المؤلف يقسمه الى أجزاء : الجزء الاول ، الجزء الثانى ••• ويقسم كل جزء من الاجزاء بمقتضى المادة المتكونة لديه والوحدات الاصغر التى يمكن ان تنطوى تحتها الى ابواب والابواب الى فصول فيكون الكتاب : الجزء الاول ، الباب الاول ، الفصل الاول ، الفصل الثانى ••• الباب الثانى ، الفصل الاول ، الفصل الثانى ••• الجزء الثانى ، الباب الاول ، الفصل الاول ••• الباب الثانى ، الفصل الاول •••

وقد يزيد عدد الاجزاء عن الاثنين ، وقد يكون الجزء الواحد من هذه الاجزاء عديد الصفحات ٤٠٠ ، ٥٠٠ ، الخ ••• ويفضل فى هذه الحالة ان يسمى الجزء الواحد مجلدة (او مجلدا) ، ويقال ان الكتاب مؤلف من مجلدتين ••• ثلاث ••• عشر ، عشرين •••

وقد زودنا المؤلفون العرب القدامى ـ نتيجة لانصرافهم الى التأليف وثمرة لتجاربهم الطويلة فيه ـ بهـــذه الكلمات • فالكلمات : فصل ، باب ، جزء ، مجلـدة ، كتاب ••• مصطلحـات جليلة مألوفـة فى التراث العربى ولها نظائر فى التأليف الغربى ، ومن هنا لا نجد مشقة فى ترجمتها ولا نجد حاجة الى ان نستعيرها او نستعير امثالها من غيرنا •

يملك الغربيون ما يقابل الفصل Chapter (= Chapitre) ويملكون مصطلحين آخرين قد يردان بمعنى واحد وقد يرجح واحد على آخر فى مكان خاص • وهذان المصطلحان هما Tome, Volume (=Tome, Volume) ولدينا مثلهما اى الجزء والمجلدة •

اما part (=partie) فهى ليست الجزء الذى لدينـا وانما هى أقرب الى الباب ، وقد ترجمها المؤلفون العرب المعاصرون الذين لم يكتب لهم الالمام بالتبويب العريق : القسم ، فقالوا : القسم الاول ، القسم الثاني • والباب خير من القسم •

ويشترط ـ على أى حال ـ لدى تبويب الموضوع الى فقر أو فصول أو ابواب ••• الخ التقارب النسبى فى الحجم ـ أى المساحة ان شئت • فاذا بلغ عدد صفحات الفصل الاول عشر صفحات وجب ان تكون الفصول الاخرى فى حوالى هذا العدد : ١٠ ، ٩ ، ١٢ ، ٨ ، ١٣ • وليس من المعقول أو المقبول ان يكون فصل فى عشر صفحات وآخر فى صفحتين أو ثلاث •

واذا كان الكتاب في أبواب واستغرق الباب الاول ما يســاوى ١٠٠ صفحة ، كان الباب الثانى حوالى ذلك : ٩٠ ، ٩٦ ، ١٠٤ ، ١١٠ ومثلـه الباب الثالث ••• وهكذا •

ومعلوم ان المسألة ليست مسألة حجم فقط ، أى انك لا تعمــل ذلك « ارضاء » للحجم وحده ، فاذا كان الفصل الاول لديك فى ١٠ صفحات فان ذلك يعني ان هذه الصفحات العشر تستوعب وحدة معينة من الموضوع ، وان الوحدة المعينة الثانية من الموضوع يجب ان تكون قريبة منها ، والا دل عملك على سوء توزيعك وسوء توزيع خطتك •

ان الحجم يعنى التناسب فى المعانى التي تقوم عليها الوحدات ، وليس

تحكّما بها وترقيعا لمادتها من أجل ان تجمع عشر صفحات أو ما يقرب من ذلك ؛ وكذا الشأن فى الابواب والاجزاء • ولذا ، فليس من المستحيل ان ترى بابا يتألف من ثلاثة فصول (أو أربعة) وترى بابا ثانيا ذا فصل واحد طويل ، لان التناسب هنا يقع فى مجموع صفحات الباب الواحد ، ولان الوقوف بباب دون تقسيم اذا كانت طبيعة وحدته تقتضي ذلك خير وأصح من تقسيمه قسرا الى فصول •

ان التجزئة وضعت ـ كما قلنا ـ للتسهيل والتوضيح ••• والتوحيد ان شئت •

ومن هنا وجب أن تكون طبيعية • أما اذا كانت مقتسرة فانها تؤدى الى الضرر والى خلاف الغاية التى وجدت من أجلها •

٢ ـ تتألف الخطة فى الاساس ، اذاً ، من الفصول التى توزع عليها مادة البحث الاساسية • ويتكون بذلك لديك صلب الموضوع وان شئت قلبه او لبّه Core ـ وقد رأينا ذلك •

وتسبق هذه الفصول (وهذا الصلب) « كلمتان » أصبحتا من مستلزمات البحث ومكملاته ، وبلغتا ـ على الزمن ـ درجة الضروريات • وهاتان هما :

أ ـ المقدمة • preface (=préface) ومن العرب القدامى من يسميها خطبة الكتاب •

ب ـ التمهيد • واكثر المؤلفون العرب المعاصرون من تسميته : المدخل ترجمة لـ : introduction (=introduction) ـ وكلمة التمهيد أولى • وقد يسمى التوطئة •

وقد تضاف بعد المقدمة « دراسة المصادر » étude des sources

ولا تلزمك هذه « الكلمات » الثلاث تفصيلا ـ فى هذه المرحلة ـ لان أمرها معروف جدا • لانك تكتب ـ كما سنرى ـ فى المقدمة كلمة قصيرة عن أمور من اختيار الموضوع واسلوب معالجته ؛ وفى التمهيد تتحدث عن العصر بما له صلة بالموضوع ؛ وفى دراسة المصادر تبين الاهم فيها وصلة بعضها ببعض ـ ومناسب ان تسجل ما يعن لك من مواد المقدمة والتمهيد فى الدفتر المساعد •

وقد يوضع فصل خاص بعد التمهيد وقبل الفصول الحقيقية لأن مادته اكثر من مقدمة وتمهيد ، وأقل من أن تكون فصلا أصيلا . وقد تسميه « فقرات اعدادية » او « بين يدى الكتاب » ترجمة لـ preliminary (préliminaire=) . وان كانت المقدمة والتمهيد والمصادر كلها مما يمكن أن يدخل فى « بين يدى الكتاب » اى المقدمات للمادة الاساسية .

تلي الفصول (الصلب) « كلمتان » أو اكثر هى :

أ ـ الخاتمة conclusion (conclusion=) .

ب ـ الفهارس index (index=) .

وقد تضاف كلمة بينهما مثل الملحق appendix (appendice=) أو الملاحق .

أما قائمة المصادر (فهرسها ان شئت) فيمكن وضعها بعد المقدمة ، ويمكن تأخيرها الى اول الفهارس ـ والتأخير أشهر ، ولعله أنفع .

٣ ـ تجنب الخطط الجاهزة . من الناس من يلجأ بعامل من الكسل أو الجهل ـ الى خطة جاهزة ، وهى مايسميه الفرنسيون plan de teroire كأنك واضعها فى درج مكتبك تقدمها لكل طالب وفى كل مناسبة ، والمقصود انك تقدم لاستاذك خطة مثل أية خطة أخرى لا تدل على شيء ولا تبين علمك بعناصر بحثك وطبيعته الخاصة . فما يكاد يطلب اليك خطة حتى تسرع تسطر على الورق :

المقدمة

التمهيد

الباب الاول ، الفصل الاول ، الفصل الثانى ...

الباب الثانى ، الفصل الاول ، الفصل الثانى ...

الخاتمة

الفهارس

وهذه لا تعنى شيئا لديك ، اما لاستاذك فهى والجهل سواء . انك

بعملك هذا اشبه بخياط لا يعرف الا نمطا واحدا يخيط عليه الملابس لكل قادم دون نظر الى حجمه وعمره وقماشه ، وأشبه بمهندس معمارى يقدم خريطة واحدة لكل قادم دون نظر الى مساحة الارض وموقعها والاسرة التى ستسكن البيت المنتظر •

لا ، ليس المهم التقسيم وحده ، فهذا سهل جدا ، وانما المهم ما يعنيه التقسيم وما يتصل منه بطبيعة بحثك وما يومىء اليه من روح ويشير اليه من تفصيلات خاصة به •

واياك اياك ان تظن أنك اذا أضفت الى مصطلحات التبويب بعض كلمات خرجت عن دائرة الخطة الجاهزة فتقول (اذا كان موضوعك يتناول شاعرا) :

المقدمة

التمهيد

الباب الاول : حياته

الفصل الاول : نشأته

الفصل الثانى : شبابه

الفصل الثالث : نضجه ونهايته

الباب الثاني : شعره

الفصل الاول : المديح

الفصل الثاني : الرثاء ••• الخ •

لان هذا لا يدل على اكثر مما دل عليه عملك الاول ، وليس هو خطة بالمعنى المقصود من الخطة ـ على أى حال •

انك ان فعلت ذلك تسيء الى نفسك اساءة بالغة ولا تزيد فى عملك على بائع البدلات الجاهزة ، تلبسها كل طارق وتكون النتيجة انها لا تنسجم تمام الانسجام فهذه أطول مما يجب وتلك أقصر مما يلزم •

نعم ، هناك خطوط عامة لاية خطة ، خلاصتها التبويب ، وخبرات فيه يحسن أن يلم بها الباحث • ولكن الخطوط العامة ليست شيئا كبيرا • ان أهميتك وأهمية خطتك تنبع من الجزئيات وما هو خاص بك وفى اختيار

الخطوط العامة المناسبة بهذا البحث دون غيره . فما كل شاعر يدرس على بابين : حياته وشعره ، فلعلك لا تجد في حياة شاعرك ما يكوّن بابا ، وقد يكون لديك من أخبار الشاعر وتواريخ هذه الاخبار والقصائد ما يمكنك أن تربط فى كل فصل بين حياة وشعر . وقد يكون شاعرك قد عرف بغرض واحد من أغراض الشعر فلا معنى فى هذه الحالة أن تحدد فصولا لاغراض ليس له فيها شيء أو شيء يذكر ، وربما كان لشاعرك اسلوب ، وربما لا يكون .

عليك ان تقلب شاعرك ـ أو أى موضوع لبحثك ـ على ألف وجه ووجه ، حتى تهتدى الى الخطة الانسب التى لا تفضلها خطة اخرى ، وانك ان نوقشت كنت مستعدا للنقاش لانك ستكون أعرف من غيرك بالمحاسن والمساوىء . ولاشك فى ان الخطة المبتكرة أبعد منالا واكثر اجهادا ولولا ذلك لما كانت المطلوبة فى البحث . ان الخطة المبتكرة هى المناسبة لانها نابعة من صميم الموضوع ولانها تقدم الموضوع أكثر حياة .

٤ ـ بعد أن تنتهى الى صورة مناسبة من صور الخطة ، تنظر فيها وهى فى آخر شكلها الذى وصلت بها اليه ، ثم عدّل وبدّل ... واحكم معتمدا المادة التى لديك والخبرة التى تراكمت عندك ، وملتزما موقف الحذر والتهيؤ كأنك قائد فى جبهة قتال لا يدرى من أين سيهاجم فيقوى كل الجبهات ويقضي على كل الثغرات ـ من أجل ان يربح المعركة وينتصر .

ويقتضي هذا النصر الاناة ، وتقتضى هذه الاناة ان تترك خطتك حينا من الزمن دون ان ينقطع تفكيرك بها وكلما طرأ رأي أو عرض خاطر أو جدّ خبر رجعت اليها تتأملها وتجرى ما يجب اجراؤه .

ان مدة التخمير هذه ضرورة ...

حتى اذا بدت لك مستوية متكاملة متناسبة حق لك ان تأخذها الى أستاذك (بعد ان تحصل منه على موعد يناسبه للقاء) ـ ان العجلة تضرك ، وقد تسبب لك من الاتعاب ما لا ينتهى وما كنت فى غنى عنه ـ وقديما قالوا : « رب عجلة تهب ريثا » ، « وقد يكون مع المستعجل الزلل » .

ولا غرو ، فالخطة هى الاساس الذى سيقوم عليه بحثك وهى المحك

الذى يبين علمك ودرايتك واخلاصك ، انها أخطر ما تواجه به أستاذك • فأحذر العجلة أولا ، واحذر أن تقدم عملا مبتسرا ، واحذر ان تقابل استاذك وانت على ضعف من أمر من أمور موضوعك لئلا تتعرض الى الذم أو السخرية وسوء الانطباع • وقد يرفض الاستاذ خطتك ويرفض معها الاشراف عليك •

ومن الاساتذة من يكون شديدا جدا فى البدء ، وانك فى امتحان كلما قابلته • وذلك حقه عندما تكون طارئا عليه لم يعرفك فى مراحل دراستك السابقة ، او انه عرفك فى وجه من الوجوه ولم يعرفك فى وجه من وجوه البحث •

انك تنجح لدى استاذك ان اعددت خطة متكاملة وشفعت هذا الاعداد بعلم فى أجزاء الموضوع والخطة وعلم عام وأدب فى المخاطبة والمحادثة والمساءلة والمناقشة • وحاذر ان يدفع بك الظن أن تسعى لاستغفال (الاستاذ) وحاذر ان تبادر بأجوبة وتعليقات لم تسأل عنها ، وان تسيء الادب من حيث تقصد الى احسانه •

ان رفض الخطة أو طلب تعديلها أمر يقع لانك عملت خطتك ضمن علمك واخلاصك ، وللاستاذ علم آخر وخبرات أخرى _ « وفوق كل ذى علم عليم » • واذا حدث لخطتك شيء من هذا فلا تتألم كثيرا لانك ستعمل خيرا منها واصلح ، وان ما تحسب أنك تضيّعه في احكامها من وقت لن يذهب سدى ، لانه سيوفر لك من الوقت اللاحق ما يعوض • والخير كل الخير أن تبدأ البناء بعد احكام الخطة ، والا اضطررت الى هدم واعادة بناء مما يؤدى الى تشويه واضطراب وتأخير •

اذا رفضت الخطة أو طلب اليك تعديلها فلا تتعجل العودة الى أستاذك كأنك فى مسابقة مع الزمن • ان المعقول ان تعاود الاطلاع والتأمل والشروع بمنطلق جديد مشتق من هذه المعلومات الجديدة وفى ضوء ملاحظات الاستاذ وتوجيهاته •

أجل ، الخطة أمر خطير لا يقل عن البحث نفسه •••

حتى اذا استقامت مجددا عدت اليه ، وعرضت عليه الامر وسمعت

منه ، فان اقتنع بها عاجلا (أو آجلا كأن يبقيها عنده اسبوعا أو أكثر يدرسها وينقدها) سمح لك بتثبيت الموضوع (والتقدم الى الجامعة بتسجيله ان كنت طالب درجة علمية للماجستير او الدكتوراه) .

٥ ـ ولا تحسب ان العمل فى الخطة ينتهى بهذا الحد . لان هذا لا يمثل الا صورة مقبولة من صورها لبدء العمل ، ولكنك لابد معدل فيها ، حذفا وزيادة كلما تقدمت فى الموضوع تبعا لما يجد لك من مادة وعلم ورأي . وقد يؤدى ذلك الى حذف باب كامل وقد يؤدى الى زيادة باب أو فصل .

هذه هى طبيعة الاشياء . عليك ان تعرفها سلفا . آما الاستاذ فهو يعرفها جيدا . والمهم ـ هنا ـ انك لا تجرى هذا التغيير ـ واى تغيير ـ من دون مراجعة الاستاذ والاتفاق معه عليه . (ومن الاساتذة من يحتفظ بصورة من الخطة ، يرجع اليها بين الحين والحين ، ومنهم من يعي الاجزاء وتبقى فى ذهنه ...) والا فقد يغضب ، ويكون الغضب شديدا اذا علم تصرفك الشخصى ، ولا سيما اذا كان هذا التصرف يسيء الى وحدة البحث او شعر انك استغفلته لسبب خاص بك كالكسل او التعجل بالانتهاء .

أجل ، ان الخطة أمر خطير ، لا يقل عن البحث نفسه .



المصـــادر

(١)

أنت الآن ملم بمصادرك فقد اقتضى ذلك اختيار الموضوع ورسم الخطة • ذلك الملم فقط • أما المطلوب منك بعده فعلم بالمصادر وطريق الى العلم قبله • وهذا يوفر عليك كثيرا من الوقت ويهيىء لك كثيرا من النظام ويجنبك الخلط « والفوضى » والرجوع مرارا الى المصدر الواحد فى الخبر الواحد • ولكى تدرك خطر المصادر فى منهج البحث تذكر ان أساس منهجنا يقوم على المصادر واستعمال المصادر لجمع المادة اللازمة •••

تبدأ الآن وكأنك تبدأ لاول مرة • والمصادر ـ فى أبسط تعريفاتها ـ الكتب التى تحتوى على مادة من أخبار أو نصوص نحتاج اليها فى بحثنا • وقد استعملنا الكلمة ـ مصادر ـ هنا بمعناها العام المطلق ، والا فاننا اذا اردنا الى الدقة والتقييد رأينا ان الكتب التى يقوم عليها الموضوع او يتصل بمادتها على نوعين :

الاول :الكتب القديمة التى يعود اليها الباحث ليأخذ منها مادته الخام • وهى وحدها الجديرة باسم المصادر sources (= sources) • ومـن

المصادر ما يرقى تأليفه الى عصر الموضوع الذى نكتب فيه ومنها ما يعود لعصور تالية له • ولاشك فى ان الاقدم هو المهم ــ ولكن ذلك على سبيل التعميم فقد تجد فى متأخر ما لا تجده فى متقدم •

ولابد من ان يأتى فى طليعة المصادر : النصوص الانشائية (من شعر ونثر فني) التى أنتجها الاديب الذى تدرسه ــ ان كنت تدرس اديبا ، والمادة التى أنتجها الادباء الذين يكونون المادة الاولى لبحثك ان كان عصرا او تيارا أو غرضا أو ظاهرة أدبية ــ تلك بديهية ، ومنها كل المؤلفات الاخرى التى خلّفها ذلك الاديب أو اولئك الادباء •

الثانى : هذه المؤلفات الحديثة التى كتبها مؤلفون معاصرون أو من أبناء العصر الحديث فى موضوعات قديمة •

ومن هنا حسن ان تفرق عن المصادر فسميت المراجع referncces (=références) نقول : حسن ، وان كان ذلك واجبا لان من الناس من يقول : المصادر ويريد المراجع ، ومنهم من يقول المراجع : ويريد المصادر ، ومنهم ــ وهم الاكثر ــ من يطلق لفظة ويريد الى ما تشتمل عليه اللفظتان •

أما نحن فنفضل التفريق بل نلتزمه لانه أدل وأجدى •

نسميها مراجع لانها ألفت لعامة القرّاء لتكون أقرب شيء يرجعون اليه للعلم بشيء او العلم بعدة اشياء • والمفروض فى أصحابها انهم اعتمدوا المصادر لدى جمع مادتهم وتأليفها ، وخلاصة القول فى المراجع انها الفت للقرّاء اولا ، أما المصادر فهى للمؤلفين أولا • ان المراجع للعامة ، اما المتخصصون فيذهبون الى ما هو أبعد منها ، الى المصدر ــ أو المنبع ان شئت •

ومهما تبلغ المراجع من القوة فانها تظل ثانوية فى عملك ، وثانوية جدا • ترجع اليها ــ أول الامر ــ لتتذكر موضوعا أو لتلم بأوائل الاشياء أو لتقف على وجهة نظر • واذا كان مرجع ما قد استوفى بحث موضوع ما فى مصادره ، لم يعد مناسبا ان تستأنف البحث فتضيع وقتا يحسن ان

تدخره لموضوع بكر أو شبه بكر[1] .

(٢)

مهمتك الآن ، اذاً ، ان تجمع أسماء أكبر عدد من المصادر التى يقوم عليها بحثك . فماذا تفعل ؟

لا بأس فى ان تبدأ سعيك بالمراجع العامة ، فهذه ـ اذ تقدم نبذة عن الموضوع تذيله بعدد من المصادر المهمة . وما عليك الا ان تنقل فى دفتر خاص ـ دفترك المساعد ـ هذه المصادر المذكورة هنا مع ما يمكن ان يكون مثبتا جوارها من معلومات عنها فى الطبع والتحقيق .

ثم تضيف اليها المصادر التى تذكر مراجع عامة أخرى ... وهكذا . وعلى هذا تكون المراجع العامة دليلا على المصادر ومفتاحا الى بابها .

ومن اشهر المراجع العامة : تأريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ط٢ ، تاريخ الادب العربى لبروكلمان ، دائرة المعارف الاسلامية ، ويمكنك أن تضيف اليها الاعلام ط٢ للزركلى ومعجم المطبوعات لسركيس ومعجم المؤلفين لكحالة ...

وتضيف الى ذلك ما يمكن ان تلتقطه وانت تنظر فى المراجع الاقل عموما ، وفيما تذيل به الدراسات الحديثة من قوائم المصادر وفيما تقع عليه فى فهارس المكتبات العامة والخاصة للمطبوع والمخطوط ، وفهارس المكتبات التجارية أو ما تعثر به على هذا الرف او ذاك من رفوف المكتبات ، وتسمع به من هذا أو ذاك ممن يجرى لك معهم حديث او تستمع منه الى حديث ـ وليكن دفترك المساعد معك معك .

ان « الكتب » احدى « هوايات » الباحث .

---

(١) هذه التفرقة بين المصدر والمرجع واختصاص الاول بالقديم والثانى بالجديد تستقيم فيما اقترن به البحث عادة من موضوعات قديمة ، اما اذا تناول بحثك موضوعا حديثا او معاصرا فالامر يختلف ويصبح مجال الفرق ضيقا ؛ ولكن يبقى المصدر اقرب الاثار والاخبار الى زمن الموضوع علماً كان او تياراً او نوعا أدبيا ...

انك الآن فى دور التقاط الاسماء التى تتصل بموضوعك أو تحسب انها تتصل بموضوعك ولا بأس فى أن تلتقط مع الاسماء ما يتيسر من معلومات أخرى موجزة عن الكتاب وعن المؤلف •

وهناك مفاتيح أخرى يعرفها المتمرسون ، تدلهم عليها طبيعة الموضوع • فما تكاد تذكر الموضوع حتى تمر بخاطرهم مجموعة من الدواوين وكتب النثر ومجموعة أخرى من كتب الادب واللغة والنقد ، ومجموعة من كتب التاريخ والجغرافية ••• الخ وما عليهم بعد ذلك الا التثبت من صحة الخاطر •

ومن المفاتيح : اسم العلم ، تاريخ الوفاة او الحادث ، الموقع والبلد ••• الخ لان من المصادر ما يبوب على أحد هذه المفاتيح •••

وهناك كتب (مصادر) هى من أولى أدوات الباحث الادبى مثل طبقات الشعراء لابن سلاّم ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، والاغانى لابى الفرج الاصبهانى ، ويتيمة الدهر للثعالبى ، وخريدة القصر للعماد الاصبهانى ، والذخيرة لابن بسّام ، ونفح الطيب للمقرى ، ومعجم الادباء لياقوت ، ووفيات الاعيان لابن خلكان ••• الى غير ذلك من كتب لابد من معرفتها فى بابها من اللغة والتاريخ والجغرافية والفقه والحديث والتفسير ••• وما يخص كل قطر على حدة ••• وكل قرن •

لكل مصدر من هذه المصادر سمات خاصة وأهمية معينة فى موضوعه والزمن الذى يستغرقه والاساس الذى يقوم عليه • كما ان لمؤلفيها أخبارا معروفة فى علمهم وأمانتهم واخلاقهم وميلهم •••

وكان الطالب يجد صعوبة فى الالمام بالمهم من هذه المعلومات وقد يحس بقصور وعجز لانها ليست مما يمكن ان يحيط به فى سهولة ، اما الآن فقد خفت هذه الصعوبة وكادت تزول بعد ان وضعت فى ذلك الكتب والادلة ، وبعد ان تقرر ان يدرس الطالب فى صف مبكر من الكلية ما يسمى بدرس « المكتبة » •

ان درس المكتبة مهم لاكثر من سبب ، ولكنه مهم بوجه خاص فى

الاعداد للبحث الجامعى • والدرس فى جملته ضرب من العلم بالمصادر اما « البقية » فهى من مسؤولية الطالب نفسه اذ يجب عليه ان يطلع على المصادر المهمة ويقرأ صفحات فيها وان يقرن ما يأخذه فى درس المكتبة نظريا بالعمل ـ وليس ذلك صعبا •

ان طالبا كان بين مواد دراسته : المكتبة ، لا يعذر اذا جهل الأمّات •

على ان المطبوع ليس كل شىء ، وانه أحيانا ليس أهم شىء • والحقيقة أننا فى بحوثنا لا نجد ما يلزمنا من الطبعات المحققة تحقيقا علميا ، لتأخرنا فى هذا الميدان ولغلبة التجارة على المتبارين فيه •

وهذا اذ يضاعف مهمة الباحث يقتضيه الرجوع الى مخطوطات عدد من مصادره المطبوعة ، ويدعوه أكثر من ذلك الى البحث عن مصادر ما زالت مخطوطة ليستطيع ان يكمل جوانب بحثه ويسد ثغراته لئلا يضطر الى اعادة النظر فى بحثه ورأيه عندما تكتشف المخطوطات أو تنشر •

حق ما قيل من اننا لم نبدأ كما يجب اى اننا استعجلنا البحث ، وكان علينا ان نوجه الاهتمام أولا الى التحقيق العلمى والنشر الصحيح لنقف على أساس متين حين نرى ونقول[1] •••

وأولى النصائح فى باب المصادر ان تعتمد نفسك فى البحث عنها والالمام بها ، فلا يحسن بك ولا يليق ان تمسك بتلابيب الرائح والغادى تسأله عن الاسماء وعن المصادر وعن المهم والاقل أهمية •

واياك اياك ان تعجل فى سؤال استاذك عن المصادر لئلا تخسر ثقته •

ان سؤال الاستاذ ممكن ، ولكن بعد ان تثبت له انك علمت الشىء الكثير الكثير ؛ انه ممكن ، ولكن فى آخر مراحل جمع الاسماء ••• وقد يأتي طواعية عند اطلاعك الاستاذ على هذه الاسماء مرتبة •

---

(١) ينظر أمين الخولي : الادب المصرى ـ فكرة ومنهج ، القاهرة ، ملتزم النشر مطبعة المعارف ومكتبتها ، مطبعة الاعتماد ، ١٩٤٣ •

(٣)

لقـد أصبح لديك الآن عدد لا بأس به من المصـادر • فماذا تفعل ؟

ترتب هذه المصادر بحسب تسلسلها الزمنى مبتدئا بالاقدم وتثبت ذلك فى دفترك المساعد ؛ (محتفظا برقم الكتاب الذى استعرته من المكتبة ليسهل عليك الرجوع اليه فى أى وقت تشاء) •

وأكثر ما يقصد بالتاريخ الاقدم تاريخ وفـاة المؤلف (لان تاريـخ التأليف مما لا يتيسر العلم به ، ولو تيسر كان مناسبا أن يؤخذ بنظر الاعتبار ، ولكن المألوف ان المؤلف يبقى يعلق ويضيف الى كتابه حتى نهايته) مستعينا على تحديد التاريخ بالمراجع العامة الموثوق بها (على أن تصحح ـ فيمـا بعد ـ ما يمكن ان تقع فيه المراجع من خطأ فى تحديد التاريخ) أمـا اذا استطعت تحديد التاريخ بالرجوع الى المصادر فذلك احسن ولكنـه صعب جدا لمن يؤلف أول مرة •

ان هذا الترتيب الزمنى يعيّن لك نقطة البدء : تبدأ بالمصدر الاقدم • ولهذا اكثر من فائدة :

الاولى : ان الاقدم أقرب الى عصر الموضوع ، ويكون خبره ـ على هذا ـ أقرب ـ فى العادة ـ الى الصحة لانه أقرب الى الاحداث • وقـد يكون معاصرا لها وحينئذ يزداد قربا من الحدث وصحة الرواية ـ مـع محذور لابد منه لدى ذكر المعاصرة ، فقـد يكون فى المعـاصر الحسـد والمنافسة والعصبية لغرض أو عقيدة أو شخص ••• وحينئذ يحسن بك الانتباه والوقوف موقف اليقظ •

الثانية : قد يروى أكثر من كتاب خبرا واحدا باسناد مختلف • وفى هذا تقوية لصحة الخبر •

الثالثة : كثيرا ما تأخذ المصادر بعضها عن بعض ، فاذ نصت هـذه المصادر على المصدر الذى أخذت عنده حُلَّت المشكلة وأفدنا من المتأخـر فى تصحيح المتقدم الذى لم يرد سليما • وان لم تنص المتأخرة على مصدرها

المتقدم فاننا سنعرف السابق على الرغم من التعمية ، فنسلب ثقتنا هذا المؤلف الذى ينقل من هنا وهناك ويدعى التاليف الأصيل او يظهر بمظهره ـ لقد وضعنا يدنا على السارق والمسروق .

ولاشك فى ان الخبر الاقدم ... اذا تكرر كان الاجدر بالاعتماد .

الرابعة : قد تروى مصادر متأخرة خبرا مهما عن مصدر متقدم مفقود ، وتكون حينئذ للكتاب أهمية خاصة ، وان الخبر الذى يذكره يقدم على غيره لان الذى يؤخذ بنظر الاعتبار فى هذه الحالة تاريخ الكتاب المفقود ، اما الكتاب المتأخر فهو وسيلة نقل ، له فضل الاحتفاظ ببعض ما لم تحتفظ الايام بجملته .

ان صاحب الكتاب الضائع يقدم اذ يأخذ مكانه الزمنى فى سلسلة المؤلفين . وكل ما فى الامر ان يشار الى ان الكتاب مفقود وان اخبارا ونصوصا رويت هنا وهناك من هذا الكتاب أو ذاك فيما جاء بعده .

(٤)

بعد ان تنتهى من الترتيب الزمنى للمصادر تبدأ بدراستها ، وتنصب أولى هذه الدراسة على الطبع بمعنى أنك تختار أحسن الطبعات وأدقها أو ما يسمى الطبعة المحققة (تحقيقا علميا) . ومن شأن الطبعة المحققة ان يقف عليها محقق متخصص أمضى وقتا وجهدا طويلين فى البحث عن المخطوطات ودراستها ونقدها ومقابلتها وكتابة مقدمة « مركزة » تعرف بالكتاب وصاحبه ثم انهاء الكتاب بفهارس نافعة .

وتجد فى المقدمة ـ عادة ـ ما يفتح لك الطريق فى دراسة المصدر وصاحبه .

وقد يكون للمصدر الواحد طبعتان أو ثلاث (أو أكثر) وعليك ـ فى هذه الحالة دراسة الموقف وتمييز الطبعة الاحسن (مع بيان السبب ان امكن . ولا يشترط ان تكون الطبعة الاحدث هى الاحسن أو ما طبع فى

أوربة ...) لانه لا يحق لك ان تعتمد فى بحثك اية طبعة تتهيأ لك . انك محاسب على ذلك ، واعتمادك طبعة رديئة - مع وجود الجيدة - يعني انك تجهل أوليات منهج البحث او انك تستهين بمهمتك أو تؤثر الكسل فى أقل تقدير .

عليك ان توفر الطبعة الاحسن ، فان استحال عليك ، اعتذرت بما يقنع المناقش ، **علما ان الطبعات الاحسن لا تعفيك من مراجعة الطبعات الأردأ** ، لتنص على الخطأ حينا ، وللعثور على ما قد يفوت الطبعة الاحسن أحيانا - وقد قيل فى الزوايا خبايا ، وتجد فى الاسقاط ما لا تجد فى الاسفاط .

أما اذا كان المصدر مخطوطا ، فلابد من دراسته ونقده وتبيين قيمته والاسباب التى تدعو الى تفضيل مخطوطة على مخطوطة أو تفضيل مخطوطة على مطبوعة أو الاستعانة بها مع المطبوعة - اذا كانت مطبوعة .

ان دراسة المخطوطة مهمة صعبة ، وهى خاصة بالمحققين ، لانها عمل قائم بنفسه ، وليس من اليسير أن تقوم بدور المحقق والمؤلف فى حين واحد.

وللتحقيق أصوله وقواعده ومتطلباته فى النقد . وانك اذ تعرف ذلك تحاذر ان تختار موضوعا يعتمد مصادر مخطوطة كثيرة ، ولا تقدم على ذلك الا اذا كنت مطمئنا من صبرك ووقتك وعلمك .

أما اذا قامت دراسة على مصدر مخطوط كأن تجعل شاعرا موضوعا لبحثك وليس لذاك الشاعر الا ديوان مخطوط ، فان عددا من الاساتذة المدققين لا يقبلون منك الموضوع خشية ما يقع فيه من خطأ عمدا وحينئذ لا يمكنهم تبين ذلك لان المخطوط ليس فى متناول ايديهم . والقاعدة السليمة : التحقيق أولا ثم الدراسة .

تدرس فى المصدر الذى بين يديك : تاريخ تأليفه ، اهم موضوعاته واتجاهاته ، نظامه وتبويبه وما الى ذلك من أمور عامة يحسن ان يعرفها الباحث والقارىء عن أي مؤلف ثم تعنى عناية خاصة بما لهذا المصدر من صلة بموضوع البحث ومدى الحاجة اليه فيما هو وحده أو ما كان مأخوذا عن غيره ...

تثبت دراستك فى دفترك المساعد •

وتتصل بدراسة المصدر دراسة صاحبه : اسمه الكامل ، ميلاده ، علمه ، اخلاقه ••• أهم ما يتميز به ••• وفاته •

وتكون هذه الدراسة (الموجزة) عامة من حيث هو مؤلف ، وخاصة من حيث صلته بموضوع البحث عن قرب أو بعد وتعصب لفلان أو عليه •• أو حياد • وهذا ينفعك سلفا لتكون على علم وحذر فيما تأخذ وتدع ، وينفع القارىء كذلك ليكون مثلك • ان هذه المعرفة أساس فى المناقشة وعامل فى الرفض أو القبول ـ ولامر ما عني أصحاب الحديث بالسند عناية ما بعدها من عناية •

ان دراسة المصادر تنفع كثيرا • ومن الباحثين من يستهين بها فنفوته أشياء كثيرة • ومنهم من يمنحها حقها من الاهتمام ولكنه لا يثبت نتائجها فى صدر بحثه كأن مثل هذه الدراسة خاصة به ، أو كأنها لم تصبح تقليدا مفروضا فى الدراسات العلمية ••• ولكننا نفضل اثباتها لنشرك القارىء معنا فى هذه المعرفة ولنحفظها من الضياع ولتكون أساسا لدراسات لاحقة ـ ولا بأس فى ان يعفى منها طلبة البحوث الصفية اذا استدعى مستواهم ذلك•

ان دراسة المصادر لا تتم فى يوم أو يومين • وكل ما تعمله فى البداية أن تسجل خطوطا عامة وتثبت قليلا من المعروف المتيسر لديك ، حتى اذا سرت خطوات أخرى فى البحث جدّت أخبار ومعلومات وآراء هى من خصوص البحث بمكان • وكلما جد لك أمر سجلته فى دفترك المساعد •

(٥)

المصدر بين يديك ، تعرفه جيدا ، فى أحسن طبعة محققة تحقيقا علميا • فكيف تفيد منه ؟ وكيف تقرءه ؟ وماذا تقرأ منه ؟

تلقى نظرة عامة من غلافه الأول حتى الأخير ، واقفا عند فهرس المحتويات أطول وقفة لتتثبت من وجود مادة لموضوعك ولتتأكد لك مكانها • فاذا كان موضوعك علما نظرت فى فهرس الاعلام التى ورد فيها على شكل

اسم علم (او كنية او لقب) وسجلت أرقام الصفحات لديك ، فاذا كان بينها رقم مكتوب بحبر غامق أو كان هناك رقمان بينهما خط فذلك يعنى انك تجد هنا أكبر ما يوجد فى الكتاب من أخبار متصلة به ••• وتنظر كذلك فى الاعلام الاخرى ذات الصلة •

وقد يكون المصدر متسلسلا على السنوات ، وقد يكون مبوبا على الموضوعات ، وقد يأتى مرتبا على الاعلام • فاذا عرفت ذلك خففت الى الصفحات التى تخصك منها تقرأ ••• وتقتبس ••• وتجمع •

اما اذا كان المصدر غير مبوّب او ان طبعه غير محقق ، فلابد لك من قراءته كله لتصطاد ما كان من موضوعك أو ما اتصل به ـ وتصبح هذه القراءة لازمة اذا كان المصدر أوليا أساسا فى موضوعك ـ ولا يقوم فى عذرك عن القراءة ضخامة الحجم أو تعدد الاجزاء أو سوء الطبع •

(٦)

نصائح أخرى :

١ ـ عندما تستعير كتابا من مكتبة احتفظ برقمه من تلك المكتبة عندك في الدفتر المساعد ليسهل عليك الرجوع اليه متى احتجت الى ذلك ، وما اكثر ما تحتاج •

٢ ـ تخصص صفحة من دفترك المساعد لكل كتاب ولكل طبعة من كتاب وتكتب على هذه الصفحة ما يدخل فى المعلومات المادية : اسم المؤلف الكامل • اسم الكتاب الكامل • اسم المطبعة • مكان الطبع • تاريخ الطبع • تاريخ المقدمة • دار النشر • السلسلة التى صدر فيها ورقمه من هذه السلسلة • اسم المحقق الكامل • عدد الاجزاء •••

٣ ـ اذا كان بامكانك ان تقتنى المصادر المهمة لمكتبتك الخاصة فذلك خير كبير لحاجتك الملازمة اليها • فاذا كنت تدرس شاعرا ••• او كاتبا ••• او لغويا اقتنيت أهم آثاره وأهم مصدر أو مصدرين فى دراسته • وكذلك تفعل ان كنت تدرس اتجاها أو عصرا •

واذا استطعت ان تملك الى ذلك مرجعا عاما آعانك ذلك كثيرا لانك مضطر الى الرجوع اليه فى التحقق من رقم أو تاريخ أو حدث .

أن تكون لك مكتبة صغيرة خاصة يوفر ذلك عليك وقتا ويزيدك ملازمة لبحثك . لان المراجعة فى المكتبة العامة تستنفد جهدا ووقتا يضيعان عبثا ، زد على أنك ربما لا تجد الكتاب الذى يهمك جدا ، او انك استعرته اليوم فاستعاره آخر بعدك ولم يعده ... أو ... أو ...

٤ ـ لا تعن فى أول أمرك بالمراجع ، واتركها الى مرحلة متأخرة ، ولكن هذا لا يمنع من تسجيل اسماء ما يمكن ان يهمك منها وتسجيل ما يعن لك من ملاحظات عليها ... مع الاحتفاظ بأرقامها فى المكتبة على الدفتر المساعد او فى جذاذة خاصة .

٥ ـ بعد أن أدرك عدد من الناشرين العرب اهتمام الدارسين بمتطلبات منهج البحث ، وعلموا أن هذا المنهج يعتمد الكتاب المحقق تحقيقا علميا ، عمدوا ـ بحسهم التجارى ـ الى تشويه الحقيقة بأن يهيئوا لمطبوعاتهم مظهراً مغرياً كأن يكتبوا على غلافها « قوبلت على عدة نسخ خطية » أو أن يشتروا بعض الذمم « والاسماء » ويستعينوا بها على اخفاء التزييف بوضعها على الغلاف الخارجى والداخلى مسبوقة بكلمة تحقيق الشيخ أو العلامة أو الاستاذ دون أن يكون للتحقيق نفسه نصيب من الصحة . وتعمل هذه الاسماء كل ما تستطيعه لتلبية غرض الناشر لقاء أجر ـ لا أحسبه كبيرا ـ فيكتبون مقدمة فيها ادّعاء كثير ، ويذيلون عدداً من الصفحات بشروح وتعريفات ومقابلات لا طائل تحتها ولا قيمة لها ، ويلحقون بالنص فهرسا أو فهارس من كل نوع اذا امتحنتها وجدتها كثيرة النقص كبيرة الضلال .

وقد يجر المال المحقق المعروف بعلمه ومكانته وتثبته الى أن يخفف قليلا (أو كثيرا) من وزنه ؛ فيسرع طمعا بالنصيب الأوفى ، ويقصر من حيث يسوّغ لنفسه السبب ـ وهذا مؤسف ، فليس من السهل أن يولد المحقق وأن يكتمل . والعبرة لك فيه الاّ تثق ـ بعد ـ بالتحقيق وتعده علمياً اذا رأيت على غلافه اسما سبق ان سمعت الثناء عليه فى تحقيق الكتاب

الفلانى او الكتاب الفلانى ؟ كأن لكل كتاب حالته الخاصة به •

ثم كانت طبعات « الأوفست » اذ يعيد الناشرون طبع الكتب النادرة تصويرا • وقد يكون لهذا بعض الفائدة فى تقريب البعيد المنال من المصادر ، ولكن عيوبه ليست قليلة ، وعلى رأس هذه العيوب تكرار الخطأ الذى وقع فى المخطوطة المحققة قديما ، والقصور عن مرتبة الطبعة الاولى اذ تأتي بعض الصفحات غير واضحة وتصدر بعض الكتب ناقصة الاوراق أو الملازم • هذا الى أن الأوفست قد يحول دون بذل الهمة لتحقيق الكتاب تحقيقاً جديداً يكمل ناقصه ويستدرك فواته •

اما العبرة لك فى هذا فان تعلم أنه اذا تهيأ لك الرجوع الى الطبعة الاصلية فان ذلك أولى بك وأجدى عليك من طبعة الأوفست •

والطبع بالأوفست – على أى حال – خير من استغلال ندرة المطبوع بأن يعمد ناشرون الى اعادة طبعه ممسوخا اذ يعبثون بالمقدمة او بالمقابلة بين النسخ او بالفهارس ••• او بهذه الامور كلها •

وبلغ الاستغلال ببعض الناشرين فى الايام الاخيرة حداً عجيبا وبلغوا بالمسخ مبلغا غريبا من نقص وبتر وخطأ في الضبط واختصار في الرواية ••• ولم يتورعوا من أن يضعوا على أغلفة مطبوعاتهم الجديدة أسماء وهمية للمكتبات او البلاد او المستشرقين •

فاعلم ذلك كله وكن على حذر من أمر المصادر التى بين يديك ، وضاعف من مهمتك النقدية •

الفصل السادس

جمع المعلومات

الجذاذات

(١) الحـزم

هناك اكثر من طريقة لجمع المعلومات من المصادر[١] ، يشترط البحث العلمى الحديث واحدة منها ، ويلزم المبتدئين ــ فى الاقل ــ ان يتعلموها • هذه الطريقة هى طريقة الجذاذات • وهى أكثر من سواها ضبطا ودقة ، وأيسر فى التصنيف ، وأنفع لدى استعمال المعلـومات ، وأدوم فى امكان الرجوع اليها ، وأجدى في امكان الاستفادة منها في مجال آخر لدى اللزوم •

---

(١) من هذه الطرق : أن ينقل الطالب ما يجىء فى المصادر من شؤون بحثه في دفتر خاص ينسق فيه النقل : يكتب على وجه واحد من الورقة ، ويترك هامشا كبيرا للصفحة يستغله لكتابة ما يدل عليه الخبر من اجزاء الخطة فاذا كان الموضوع شاعرا او كاتبا او لغويا ••• كتب : ميلاده ، وفاته ، صلته بالولاة ، أسفاره ، ••• الخ ليستعين بهذه العنوانات الجانبية على الكتابة فيما بعد •

وهذه الطريقة ممكنة عندما يكون البحث صغيرا • وقد تقبل بهذا الشرط ، ولكن الاساتذة والمشرفين قلما يوصون بها لما تسبب من اختلاط واضطراب وضياع •

والجذاذة ورقة صغيرة من ورق سميك شيئا ، هى أشبه ببطاقات الدعوة الاعتيادية (وقد تسمى بطاقة أو جذاذة أو رقعة أو « كارتا ») وهى لدينا ترجمة لكلمة card او (=fiche) وترى نظائرها فى ادراج المكتبات العامة لفهارس الكتب والمؤلفين • وكون بيضاء او مخططة ، مستطيلة الشكل ١٣سم × ٨ وقد تقل أو تزيد • وأهم من مسألة الحجم هذه أن تلتزم حجما واحدا لا تغيره فى مجموع بحثك ، لان تغيير الحجم من مجموعة جذاذات الى أخرى لا يحقق لك ما ترجوه من الدقة والنظام •

تباع هذه الجذاذات فى السوق جاهزة ، منها ما لم يكتب عليه شيء ، ومنها ما طبع على رأسه كلمات مثل : اسم الكتاب ••• المؤلف ••• الخ • ويمكنك ان تعد أنت نفسك هذه الجذاذات اذا صعب عليك شراؤها او الحصول عليها •

تحضر أمامك عددا غير قليل من هذه الجذاذات ، وتحضر أقدم مصدر متيسر لك وتبدأ تنقل اليها ما يتصل ببحثك على مقتضى خطتك عادة ، مخصصا الجذاذات الاولى لمعلومات عن المؤلف (اسمه •• ولد ••• توفى)، وبما ان هذا جزء من خطتك وضعت مادة الخطة اى كلمة « مصادر » على الزاوية العليا اليمنى للجذاذة ، ووضعت كلمة « المؤلف » تحتها • وتخصص الجذاذة الثانية للكتاب (اسمه الكامل ، اسم المحقق ـ ان وجد ـ اسم السلسلة التى صدر فيها ـ ان وجدت ، الرقم الذى يحمله الكتاب من هذه السلسلة ، ثم اسم المطبعة ، وعدد الطبعات ، مكان الطبع ، دار النشر ـ ان وجدت • تاريخ الطبع ، عدد الاجزاء ، الجزء الذى تستعمله) • تجد اكثر هذه المعلومات (المادية) على غلاف الكتاب ، وتجد بقيتها على الغلاف الداخلى ، وفى المقدمة ، وعلى الورقة الاخيرة ، والغلاف الاخير •

ولا يشترط فى الكتب كلها أن تصدر فى سلسلة عن دار نشر وان تكون محققة ، ولست مسؤولا عن تقصيها ان لم تجدها فى الكتاب نفسه ولكن الشرط أن يكون فى المصدر الاشياء الاخرى : مكان الطبع ••• تاريخه ••• فان لم تجدها كنت ملزما بالاشارة الى انك لم تجدها فتقول مثلا : د•ط أي دون طبع ، أى ان اسم المطبعة غير مذكور على الكتاب ،

وتقول : د•ت أى من دون تاريخ ؛ وتقول : د•م أى طبع من دون ذكر لمكان الطبع •

تكتب على الزاوية العليا اليمنى للجذاذة كلمة « مصادر » وتضع تحتها كلمة « كتاب » •

اما على الزاوية العليا اليسرى للجذاذة فتكتب دائما اسم مؤلف هذا الكتاب الذى بين يديك •

انك تنتفع بهاتين الجذاذتين ــ بعد ان تضيف اليهما خلاصة ما فى دفترك المساعد ، لدى دراسة المصادر ــ ان اردت ادخال هذه الدراسة فى بحثك ، ولدى عمل قائمة بالمصادر والمراجع ــ وهو أمر لا مفرّ منه •

ثم تبدأ تقرأ فى المصدر الذى بين يديك ــ بدلالة الفهرس ــ ان كان له فهارس دقيقة ــ وتلتقط فى قراءتك كل ما هو من موضوعك ناقلا كل خبر وكل جزء من خبر على جذاذة خاصة بعد ان تكتب على زاويتها العليا اليمنى اسم الموضوع الذى ينطوى تحته من موضوعات الخطة ونقاطها أو ما يمكن ان تنتفع به خارج نطاق الخطة وان لم يكن فيها • فاذا كان بحثك عن شاعر ــ مثلا ــ وليكن بشارا ، كتبت على هذه الزاوية موضوعا لمادة أول خبر يطالعك به المصدر : نسبه ، بنو عقيل ، عماه ، تعلمه ، أبوه ، صلة سلم الخاسر به ••• المهدى ••• قتله •

أما على الزاوية العليا اليسرى للجذاذة فتبقى اسم مؤلف المصدر الذى تنقل عنه : ابن سلام ، الجاحظ ، ابن قتيبة ، ابن المعتز ، الاصبهانى ••• الخ • ومن الباحثين من يهمل اسم المؤلف ويكتفى باسم الكتاب يضعه على هذه الزاوية •

ثم تضع تحت اسم المؤلف **(او اسم الكتاب) الجزء ــ ان وجد** ، ورقم الصفحة ، هكذا : ٢ : ٢٣ أي الجزء الثاني على الصفحة الثالثة والعشرين •••

انك اذ تنقل ــ وان كنت فى مرحلة أولى يمكن ان تعد صماء (آلية) ــ لابد لك من ان تلاحظ ما تناقش به هذه الاخبار التى تقررها او

تناقش جزءا منها ، كأن ترى عوجا فى النص ، ونقصا فى التحقيق واعتباطا فى النسبة ، وأن كلمة لم توضع فى مكانها ، وان تصحيفا قد فات المحقق ، وأن ثقة وضعها هذا المحقق باحدى المخطوطات على غير قاعدة ... وكأن تنبه الى تناقض أو أمر لا يصدق وغير منسجم . لا بأس فى ان تنقد على ما تقرأ ـ لان الحاسة الناقدة من شروط الباحث وان العملية النقدية تلازمه فى كل خطوة ، وليس هناك عمل آلي بمعنى الكلمة لديه . وكل ما فى أمرك انك فى مرحلة نقل ، وهذه لا تسمح لك بالوقفة الطويلة ، أو ان مادة المناقشة لما تتوافر لديك فيها ، ولكن ليس من المعقول ان تترك ما يمر بخاطرك يذهب هباء ، لان هذه احدى الفرص ، وقد تمر ولا تعود . ولهذا وجب ان تسجل ملاحظاتك هذه على وجهها الموجز الذى يكاد يصبح رمزا على هامش الجذاذة بشكل واضح أو على جذاذة متصلة بجـــذاذة الخبر فى الحالة التى يطول فيها نقدك ـ استعدادا لمرحلة النقد الاساسية . اما اذا طال التعليق ولم يرد عليك بالشكل الذى تجزم به وترتضيه ، فيحسن ان تستفيد من دفترك المساعد وتكتب كل ما يعن لك ويدور بخلدك .

واذا انتهيت من توزيع مادة مصدرك على الجذاذات واستوفيت منها ما جاء مجمعا فى صفحات متلاصقة تحت عنوان « بشار » ، وما جاء متفرقا هنا وهناك من صفحات الكتاب ، جمعت الجذاذات بعضها الى بعض ، وعلى رأسها جذاذة المؤلف ثم جذاذة الكتاب وربطتها بحزام مطاطى (معد لمثـل هذه العملية) واحتفظت بالحزمة الحاصلة فى علبة خاصة أو درج خاص ـ ان أمكن .

تنتقل بعدها الى المصدر الثانى ، وتعمل ما عملته فى المصدر الاول : جذاذة للمؤلف ، جذاذة للكتاب ، جذاذات لتوزيع المادة الواردة فيه مجموعة أو مفرقة من نقاط الخطة او من نقاط لم تحتوها الخطة .

ثم تجمع هذه الجذاذات وتحزمها وتودعها العلبة أو الدرج ... وتنتقل الى المصدر الثالث .. فالرابع .. والخامس .. سالكا السبيل نفسه منذ البداية حتى الربط بالحزمة ...

(٢) فوائـد

هذه هى الطريقة العامة ••• ولكن هناك فوائد وملاحظات خاصة هى ثمرة عملية لما يلاقيه الطالب من مشكلات فى أثناء الجمع • وهذه أهمها :

١ ــ الدقة فى النقل • انقل الاشياء كما هى أمامك فى خط واضح ونسق جميل • ولا تصحح خطأ ، ولا تتصرف •

وان رأيت ما يحسن تغييره ، نبهت عليه فى هامش الجذاذة • وان رأيت ما يحسن ان يزاد نبهت على ذلك فى الهامش ايضا ، واذا كنت على الغاية من الاطمئنان واردت ان تضمنه النص نفسه ، فقد يسمح لك ان تفعل ذلك بعد وضعه بين معقوفين وتذييل الزيادة بتوقيعك أو أى رمز آخـر تضعه قبل اغلاق المعقوفين •

٢ ــ يشترط فى ورق الجذاذات ان يكون من حجم واحد لمجموع البحث حفظا للنظام وراحة لنفس المؤلف ، ومن لون واحد الا اذا اردت ان تستغل الالوان المختلفة لدلالة علمية كأن تجعل جذاذات من لون أحمر للمؤلف والكتاب وأخضر لحياة الشاعر ، واصفر لشعره ، ان كان شاعرا • وهكذا يشترط فى هذه الحالة اليقظة التامة والحذر من الخلط •

ومن « المنهجيين » من يقترح تنويع حجوم الجذاذات حسب الموضوعات الرئيسة فى الخطة ــ ولا أرى فى ذلك صوابا كبيرا •

٣ ــ يستحسن كثيرا ان يستعمل الباحث اكثر من لون واحـد من الحبر تسهيلا للمراجعة وترويحا للنظر وتمييزا فى الدلالة ؛ كأن يجعـل اسم المؤلف والصفحة التى أخذ عنها الخبر بقلم أحمر ، وان يجعل عنوان الخبر بقلم أخضر ، واما الخبر فيكتب بالازرق ويختار لتعليقاته العابرة فى الهامش أو فى صلب الجذاذة أى لون آخر موحد غير الازرق •

٤ ــ لا تزحم الجذاذة بالكتابة ولا تفكر بالاقتصاد فى عدد الجذاذات ان « التبذير » هنا نافع جدا وهو ضرب من الكرم الممدوح •

٥ ــ لا تكتب على ظهر الجذاذة ــ لان هذا الذى تكتبه يضيع عليك لدى المراجعة ، انك لن تنظر الا فى الوجه •

٦ ـ اذا كان الخبر الذى يراد نقله يتوزع على آخر صفحة وأول صفحة أخرى من الكتاب فلابد من ان يشار الى ذلك على الجـذاذة بان يوضع خط مائل بعد الكلمة التى تنتهى بها الصفحة الاولى ثم يزاد رقـم الصفحة الثانية الى الرقم الذى كتبته تحت اسم المؤلف بعد وضع خط بين الرقمين (٧٤ـ٧٥ مثلا) كما يوضع الرقم الجديد على الهامش مقابل الخط المائل •

٧ ـ علامات الترقيم punctuation (=ponctuation) الحديثـة كثيرة ، أخذنا أغلبها عن الغرب • ولم يكن للعرب منها الا شيء محدود جدا مثل النقطة ، وكانت ترسم مجوفة (ه)[1] ، ولكن المحققين المحـدثين يسمحون لانفسهم ان يستعملوا علامات الترقيم الغربية • ، ؛ : ؟ ! ••• الاقواس • ولا بأس فى ذلك لولا انهم يضطربون احيانا فى الاستعمال•

وعليك ان تنقل النص كما هو أمامك ، فان لحظت خطأ ً فى العلامات نبهت عليه بحبر أحمر ، وان كان النص خاليا من العلامات نقلته كما هو خشية أن تضع علامة فى غير مكانها وقد يؤدى ذلك الى خلل فى المعنى •

٨ ـ اذا رأيت فى النص الذى أمامك خطأ فى النحـو او فى المعنى لا يعود الى المطبعة أو المحقق وضعت وراء الكلمة الخطأ (كذا) بين قوسين ترجمة لما يعمله الغربيون اذ يضعون Sic ، ويحسن ان يكون هذا الذى تضعه بحبر أحمر تمييزا لما يكون مردّه ماوضعه المحقق بعد كلمة خطأ وجدها فى النص الذى يحققه •

اما انك اذا اضطررت لان تزيد حرفا أو كلمة لاقامة معنى او اصلاح وزن فانك تضعها بين معقوفتين (حاصرتين) [ ] ولابد من رسمها بالحبر الاحمر تمييزا لهما مما يفعل المحققون •

٩ ـ اذا كان النص الذى أمامك طويلا وكنت متأكدا من ان بحثك لا يحتاج منه الا الى جمل محدودة منبثة فى غضون هذا النص الطويل ، فلا بأس فى ان تنقل من النص الجمل التى تراها ضرورية لك وتترك الباقى

---

(١) ينظر عبدالسلام هارون ، تحقيق النصوص ٧٩ •

بشرط ان تضع نقاطا (ثلاثا أو أزيد) مكان كل مقطع مهمل ، لتعرف ذلك عند استعمال الجذاذات • ولابد من ان تكون النقاط بالحبر الاحمر تمييزا لها عما يمكن ان يكون فى المصدر نفسه من نقاط وضعها المحقق لسبب من دواعى التحقيق • واذ نقول : الحبر الاحمر ، نقصد الى حبر يختلف اختلافا واضحا عن حبر القلم الذى تنقل به ، ومن الباحثين من يفضل وضع نقاطه الدالة على الحذف بين اقواس صغيرة «•••» •

١٠ ـ اذا استدعى طول الخبر أكثر من جذاذة واحدة ، ملأت الجذاذة الاولى بقسم منه محافظا على الدقة والوضوح ، واضعا تحت الموضوع الذى وضعته على الزاوية اليمنى العليا للجذاذة رقم (١) ، ثم تنتقل الى جذاذة ثانية ، أو ثالثة ورابعة محتفظا على هذه الزاوية بالموضوع الواحد مسلسلا أرقام الجذاذات الجديدة ذات الموضوع الواحد (٢) ، (٣) •••

١١ ـ الاصل فى الخبر أو النص ان ينقل كاملا على الجذاذة او الجذاذات • وهذا هو الاحسن والانفع • وليس من المعقول الاكتفاء بكتابة عنوان الخبر أو النص أو كتابة خلاصة مركزة لهما لان ذلك لا يسد الحاجة منه ويؤدى الى خلط وارتباك وضياع وقت فى الرجوع المتكرر الى المصدر نفسه لدى الكتابة •

ولا يسمح لك بالاكتفاء بعنوان المادة أو خلاصتها الا فى حالة واحدة هى ان تكون هذه المادة طويلة وان يكون المصدر ملكك وفى متناول يدك عند تحرير البحث ـ فيما بعد •

١٢ ـ اذا رأيت خبرا فى مصدر تال يذكرك بوروده فى مصدر سابق فالمفضل نقل هذا الخبر كما هو (ولاسيما اذا كان قصيرا) ، ولكنه اذا كان طويلا وأردت الاقتصاد بالوقت والورق رجعت الى الخبر نفسه من المصدر السابق ، فاذا كان مطابقا تمام المطابقة اكتفيت بالاشارة اليه فى جذاذة خاصة ، وان رأيت قليلا من الاختلاف أثبت الاختلاف وحده ـ ومع كل هذا يبقى نقل الخبر كاملا هو المفضل ، فقد يمر عليك اختلاف خفي لا تتبينه لانك لما تتمكن من أجزاء موضوعك أو لانك فى مرحلة النقل تسيطر عليك الآلية اكثر من أى شى آخر او لانه لا يتيسر لك دائما ـ فى

مرحلة النقل ـ ان تكون رواية المصدر الاول بين يديك •

ولا يكون الاكتفاء بالاشارة الى ورود الخبر فى المصدر الاول مقبولا الا فى حالة كون المصدر الثانى ملكك وانه فى متناول يدك لدى التحرير •

١٣ ـ اذا كان للمؤلف الواحد اكثر من كتاب ترجع اليه فى بحثك فانك فى هذه الحالة تكتب الى يسار اسمه فى الزاوية العليا اليسرى للجذاذة مختصراً لعنوان الكتاب • فاذا كان هذا المؤلف مثلا : ابن قتيبة ، ورجعت من مؤلفاته الى الشعر والشعراء ، وعيون الاخبار ، قلت ابن قتيبة ـ شعر ، ابن قتيبة ـ عيون •

ان الطريقة العالمية ان يذكر اسم المؤلف ـ كما رأيت ـ وان تكون الاشارات فى الذيل ويكون ترتيب فهرس المصادر على نسق المؤلفين • ولكن من المؤلفين ـ وبخاصة العرب المحدثين من يستعمل اسم الكتاب لقصد او لغير قصد ، وفى هذه الحالة لا يحتاجون الى هذا التمييز لانه يكتب على الزاوية العليا اليسرى للجذاذة : شعر ، او عيون ••• الخ •

وتبقى طريقة ذكر المؤلف هى الافضل •

١٤ ـ من فوائد أن يكون المصدر ملكك وفى متناول يدك لدى التحرير الاقتصاد بالوقت الذى « يضيع » بالذهاب الى المكتبة والاياب منها ، وفى مدة الانتظار لدى استعارته • ومنها ضمان الحصول عليه فى كل حاجة تدعو ، ومنها ان تكتفى عن النقل الكامل على الجذاذة بخلاصة واشارة الى الجزء والصفحة •

ومنها انك تستطيع ان تقرأه على مهل واكثر من مرة واضعا عنوانات وملاحظات على هامشه (بقلم رصاص) تنفعك كثيرا فى التوضيح والتأكيد والمراجعة •

١٥ ـ اذا وجدت معلومات تتصل بالمؤلف سجلت ذلك على جذاذة خاصة • وتفعل مثل ذلك عندما تطلع على مزايا خاصة بالمصدر • ان ذلك ينفعك لدى دراسة المصادر فى الاقل •

١٦ ـ اذا عنّت لك فكرة ما تتصل بالبحث او فى خطته فلا تتركها تفر وذلك بأن تقيدها على جذاذة خاصة •

وتفعل مثل ذلك ان عنّ لك تعليق أو نقـد ـ لا يمكن الاستغناء عنه باشارة عابرة • ويمكن ان تستفيد فى مثل هذه الحالات من دفترك المساعد •

١٧ ـ اذا عثرت على خبر أو نص لا محل له من الخطة المتفق عليها ، فلا تفرط به فقد تحتاج اليه يوما ما وقد تعدل الخطة من أجله اذا انضـح ـ فيما بعد ـ خطره •

خصص جذاذة لكل خبر يتصل بموضوعك ـ بغض النظر عن الخطة•

١٨ ـ لا تزيد المراجع ـ فى الغالب ـ على ان تكون ايجازا او تكرارا لما فى المصادر ، وليس معقولا ان تنقل كل ما جاء فيها • واذاً ، فلا تنقل الا الضرورى ، وأهم ما فى هذا الضرورى :

أ ـ خبر روي فيها عن مصدر قديم لم يتيسر لك ـ على الرغم من طول بحثك • وفى هذه الحالة يكون نقلك النص القـديم على مسـؤولية المرجـع ولابد من ان تبقى الاشـارة الى المرجـع اعترافا بالفضـل مرة ودفعا للمسؤولية مرة •

واياك اياك ان تغفـل ذكر المرجع لان ذلك يعرضك الى مشـكلات ويصمك بالسرقة •

ب ـ الخطأ فى اخبارها وارقامها لتنبه على الفظيع منها ولاسيما ما جاء لدى مؤلف حديث كبير •

ج ـ الرأي الخاص الـذى أدلى به المؤلف الحديث ، فان كان مصيبا حفظته لصاحبه كما تقتضي الامانة وأثنيت عليه ان وجدت ضرورة • وان كان خطأً بينت الخطأ أو أشرت اليه بشكل من الاشكال •

١٩ ـ ما قيل فى هذا الباب من تعليمات وفوائد عن المصادر والمراجع يخص أولا نقل الاخبار او الموقف من هذه الاخبار• وهو في جملته صالح في موقفك من النصوص الانشائية ، قصيدة ، خطبة ، رسالة ، مقامة ، قصة ••

الا انك مع مثل هذه النصوص فى موقف خاص لخطورتها فى البحث الادبى • ونلخص هذا الموقف فى النقاط الاتية ـ حتى لو استدعى التكرار :

أ ـ تحصل على أحسن الطبعات المحققة • فان لم يكن النص محققا

علميا تضاعفت مهمتك ، وقد يطلب اليك ان تكون محققا زيادة على كونك باحثا •

ب ـ يستحسن ـ بل يجب ـ ان تقتنى الديوان او الكتاب الذى يؤلف محورا لبحثك •

ج ـ تديم النظر فى النص ، وتقرءه مراراً •

د ـ تتعقب مفرداته وتركيباته •

هـ ـ تقف طويلا لفهم ما يصعب عليك من المفردات والمعانى او ما يمكن ان يكون صعبا على عامة القراء •

و ـ تحلل بناء القصيدة ، وتبيّن مقاطعها وتيارها وسلسلتها والموضوعات البارزة فيها والمعانى السائدة ، والجيد والردىء ، والعميق والسطحى •

ز ـ الاشارة بوجه خاص الى ما ينطوى منه تحت خطتك وما لابد من الوقوف عنده ، أو أخذه ، أو الاستشهاد به لدى التحرير •

ح ـ تضع ذلك كله على الكتاب نفسه ، وعلى الهوامش منه بخاصة ـ وليكن بقلم رصاص •

ط ـ تكتب مفاتيح ما تحتاج اليه من هذه الوقفات على جذاذات متفرقة تشير كل واحدة منها الى النقطة المقصودة من الخطة •

ى ـ ان لم يكن الكتاب ملكك وجب ان تنقل النصوص كاملة على الجذاذات بمقتضى خطتك مصحوبة بالشروح والتعليقات •

ولاشك فى ان امتلاك الكتاب انفع وهو اذ يوفر كثيرا من الوقت يهىء لك فرصة رؤية النص كاملا كلما احتجت اليه فى نقطة من نقاط الخطة فيحفظك ذلك ـ فى أقل تقدير ـ من التناقض او مجانبة القصد الاول للشاعر أو الكاتب •

(٣) التفريق

عندما تنتهى من جمع المعلومات على طريقة الجذاذات يكون لديك عدد من حزم الجذاذات يساوى عدد المصادر التى اقتبست منها • كل حزمة تمثل ما أخذته من كتاب ، مرتبة على تسلسلها الزمنى مبتدئة بالاقدم •

ويحسن أن تلقى على هذا الترتيب الزمنى نظرة أخيرة للتأكد من صحته ، واعادة الحزمة الشاذة الى مكانها •

ثم تبدأ بتفريق الحزم • ويتم ذلك كما يأتي :ـ

١ ـ ان تنزع من كل حزمة الجذاذة او الجذاذات الخاصة بالمصادر محتفظا بترتيبها الزمنى ، فاذا انتهيت ، تربطها فى حزمة واحدة •

٢ ـ وان تنزع كل جذاذة خاصة بالمؤلف وتربطها فى حزمة قائمة برأسـها •

٣ ـ وان تعود الى حزمة المصدر الاول ، تنظر فيهـا فاذا وجدت جذاذة يحمل عنوان موضوعها النقطة الاولى من نقاط الخطـة استللتها • ولنفرض انها : النسب •

٤ ـ وأن تنظر فى حزمة المصدر الثانى ، فاذا وجدت جذاذة تحمل موضوع النقطة نفسها استللتها وضممتها الى الجذاذة السابقة •

٥ ـ وان تنظر فى حزم المصادر الاخرى •• مستلا ما تجد من مادة هذه النقطة : النَّسب •

٦ ـ وان تجمع ـ اذا انتهت هذه الجذاذات التى تحتوى على مادة النسب ـ مرتبة ترتيبا زمنيا مبتدئة بالاقدم ، ولا تنس ان تفحص ذلك جيدا •

٧ ـ وان تربط مجموع هذه الجذاذات المرتبة مسـتقلة بالـرابط المطاطى • ويكون كل ما فيها مادة واحدة لنقطة من نقاط الخطة : النسب ـ مثـلا •

٨ ـ تعود الى حزمة المصدر الاول لتنزع منها ما يمكن ان تجد من جذاذات تحتـوى على مادة للنقطـة الثانية من الخطـة ـ ولنفرض أنهـا : نشـأته •

٩ ـ ثم تنزع الجذاذة المناسبة ـ ان وجدت ـ من كل حزمـة من حزم المصادر الاخرى •

١٠ ـ وتجمع الجذاذات المتشابهة المادة (حول النشأة) ملاحظا ترتيبها الزمنى وتربطها بالرباط المطاطى لتكون حزما جديدة ، كل حزمة تضم مادة واحدة من مواد نقطة من نقاط الخطة •

١١ – حتى اذا انتهيت كان لديك عدد من الحـزم يتناسب مع مـا وجدت فى مصـادرك من موضوعات خطتك ، وتتفاوت محتوياتها بحسب ما توافر لك من جذاذات فى كل مادة • وقـد تتألف حزمة من (٢٥) جذاذة ، وتتألف ثانية من (٣٠) جذاذة ، وثالثة من (١٥) جذاذة ••• الخ•

١٢ – تفحص هذه الحزم التى بين يديك متأكدا من أنها متسلسلة حسب نقاط الخطة ، فى أحدث صورها ، مبتدئة بما تقتضيه النقطة الاولى ، منتهية بمادة النقطة الاخيرة ، فاذا وجدت حزمة شاذة أعدتها الى مكانها من مقتضى الخطة •

١٣ – وتنظر الجذاذات التى لم تحتو الخطة مادة لها ، فان كان فيهـا عدد مهم يمكن ان يكون نقطة جديدة تضاف الى الخطة حزمته ووضعت من أجله مادة فى الخطة (بعد التشاور مع الاستاذ المشرف) ودرجته فى تسلسله الموضوعى المناسب من مجموع الحزم •

اما ما يتبقى من جذاذات منفـردة ، قليلـة ، فيمكنك ان تجمعها فى حزمة واحدة بعنوان متفرقات لانك قد تحتاج اليها يـوما مـا ، وكثيرا مـا تحتاج اليها •

١٤ – تعيد الحزم بترتيبها الجديد (على نقاط الخطة) الى العلب أو الادراج بانتظار الخطوة التالية (خطوة التحرير) •

ملاحظـات :

١ – تبقى مرحلة الجمع مفتوحة • فكلما عثرت على مصدر جديد أو طبعة جديدة ، أو مخطوطة جديدة ، رجعت اليهـا واقتبست منهـا فى جذاذات خاصة المادة اللازمة وادرجت هذه الجذاذات الجديدة فى مكانهـا المناسب من مجموع ما تيسر لك من حزم •

٢ – من الناس من يضيق ذرعا بمرحلة الجمع هذه ويعدها عمـلا بليدا ••• وقد يكون الامر كذلك الا انها مرحلة لا نقاش فى ضرورتهـا لانها مرحلة تهيئة المادة الخام للبناء الجديد •

ومن الناس من يأنس بها وينسجم واياها ولا تراه الا وهو يجمـع

ويجمع ، مقيما فى المكتبة وازاءه أكوام الجذاذات ••• ولا تبعثك هـــذه الظاهرة على التفاؤل المطلق ، لان عددا من هؤلاء تقف قابلياته عند هـذا الحد ، حتى اذا أراد أن يبني صعب عليه الامر وبدأ يضيق بالمرحلـــة الجديدة ، أو انه يبني بناء مهلهلا متداعيا •

والباحث الكامل من جمع الحســـنيين : الانس بالجمـــع والتمكن من البنـــاء •

ان اعتماد النفس فى الجمع يكسب صاحبه فوائد جمة منها الوعي لما يأخذ ويدع ، ومنها ما يثير فيه الجمع من افكار وآراء ••• ونقد ، ومنهـا ألفة الموضوع وملازمته • ولولا هذه الفوائد لامكن اناطة الجمع ـ فى غير حالات السعي لدرجة علمية ـ بشخص يأنس بالجمع ويصبر عليه مرتاحا • ولكن فوائد الملازمة فى الجمع جليلة لا يستهان بها •

٣ ـ لعلك استثقلت جمع المعلومات على الجذاذات وضقت بها لدى التفريق ، وساءلت : أكل الباحثين يوغلون فى هذا الامر ؟ والجواب : ان طريقة الجذاذات دقيقة راقية ولابد من العلم بها والتدرب عليها ، حتى اذا تمت لك ثمرة الممارسة وبلغت مبلغ الاستاذ وكانت لك مكتبة عامرة أمكنك التخفف من بعض ما ترى فيها من أعباء مستغنياً بالاشارة الى الخبر فى مصدره عن النقل الطويل ـ المكرر أحيانا •

٤ ـ لا تفارق الجذاذات الاساتذة الكبار من ذوي البحوث الكثيرة الطويلة الامد ، فما يكادون يعثرون بنص أو تعريف أو لفظة أو مصدر مما يتصل بدراسة من دراساتهم حتى يخرجـــوا الجذاذة ويكتبوا عليهـا ما يلزمهم ، فاذا عادوا الى البيت وضعوا هذه الجذاذة الى جوار نظيراتها من أدراج لهم خاصة موزعة على الموضوعات التى يعنون بها ويجمعون المادة النادرة لها •

وفى هذا ما يمكن أن يفسر لنا ما نراه أحيانا فى مؤلفاتهم من مادة عجيبة استقوها من مصادر متباعدة زمانا ومكانا وموضوعا •

٥ ـ ان الجذاذات التى تجمعها لموضوع معين يمكن أن تنتفع بها لدى

دراسة موضوع آخر ذي صلة بموضوعك الاول .

٦ ـ ان الجذاذات بوضعها المنظم لدى السعى الطويل مما يمكن أن يرثه الخلف عن السلف فيكمل التالى ما بدأه الأول وتتضافر الجهود المتوالية فى المشاريع الضخمة .

وكان المستشرق الالمانى فيشر يعتزم تأليف معجم تأريخى للالفاظ العربية ، وهو عمل مضن يستدعى عمراً طويلا . وليس له الا السير على طريقة الجذاذات ، وقد فعل ، وقطع غير قليل ثم توفي قبل أن يحقق غايته ؛ ولكن الجذاذات بقيت بعده حية تنتظر من ينتفع بها ، وقد ابتاعها مجمع اللغة العربية بالقاهرة بثمن مناسب وظلت الخطوة التالية تنتظر صاحبها أو أصحابها ، وقد طال الانتظار ...

٧ ـ اذا اعتدت نظام الجذاذات واستطعت السير عليه ، فانك لا تفضل عليه غيره ، ولعلك لا ترغب ـ بعد ذلك ـ فى التغيير .

الفصل السابع

المسـودة

١ ـ الخطة الموسعة

ازاءك الآن الخطة الاولى مع ما زدت عليهـا مما جـدّ لك خـلال مطالعتك ، ومع ما اجريت عليها من تعديل اقتضاه التبويب الثانى : ازاءك الخطة فى صورتها الاخيرة ، بفصولها وفروع فصولها ارقاما وحروفا •••

وازاءك كذلك الحزم الجديدة مرتبة على موضوعات الخطة • وقـد نقلت اليها من دفترك المساعد كل ما يجب نقله على وجه الدقة والايجاز • وفى ذهنك اشياء توافرت على مر الزمن وبطول المصاحبة ودوام التأمل •

أحْضِرْ عـددا من الـورق الابيض ـ المخطط ان امكن ـ يتناسب وحجم بحثك المنتظر ، ورقتين أو اكثر ان كان بحثك صفيا وعشر ورقات او اكثر ان كنت تنوى ان يكون بحثك فى حدود المائتى صفحة ـ والكتابة على وجه واحد •

ثم تبدأ مرحلة جديدة تعمل فيها على ملء الخطة فى شىء من الحرية فتجعل من الكلمة جملة ومن الجملة سطرا ومن السطر فقرة كأنك تكتب البحث فى صورة موجزة فيها النقاط الاساسية وفيها رءوس الاقـلام تاركا

بياضا مناسبا بين الكلمة والكلمة والسطر والسطر ولا تنس ان تترك مكانا فسيحا للهامش والذيل •

وتمضى فى الكتابة ، منذ البداية حتى النهاية مميزا الابواب والفصول، وتكتب ، وتكتب ؛ وتنتهى وكأن امامك البحث كاملا •

ويمكن ان نسمى هذا بالخطة الموسعة (او البحث المصغر) • وأهمية هذه الخطة الموسعة هى :

١ ـ ان تقرب لك شكل الكتاب كما سيكون وتهيىء لك النظرة الاجمالية •

٢ ـ وان تدرك بها ما هو ناقص وما هو زائد وتعمل على اقامة التوازن ، وما يجب ان تستفيض فيه وما يجب ان توجزه ، وما تعتمد فيه المادة التى لديك وما تستعمل فيه رأيك ومخيلتك ، وما ستقدم من الفصول وما ستؤخر ، وما يمكن ان يكوّن فصلا وما لا يمكن •

٣ ـ وان تمتحن الخطة فى ضوء المادة والفكر ، فتعدلها بمقتضى ذلك مرة ثالثة استعدادا لانطلاق جديد •

انك فى عملك هذا أشبه بالخياط عندما يصل بين قطع القماش « المفصل » ، بخيوط « عاريّة » مشللا اياها فتكون « البدلة » لديه على شكل يقرب مما ستكون عليه • وهو لا يستغنى عن هذه المرحلة ـ اذا طلب الكمال ـ مهما يكن ماهرا • ثم يحضر صاحب « البدلة » فيلبسه اياها ويبدا يفتق ويشلل ، ويفتح ويسد ويقصّر ويطوّل حسب الحاجة • وهو ما اصبح يسمى بـ « البراوة » أو « البروڤة » preuve .

تلك مرحلة مهمة فى كل عمل أو مشروع يشترط فيه ان يكون متقنا وان يقدم للناس وهو ذو روح ، أو أسلوب ان شئت •

وبعد ان تنتهى من الخطة الموسعة ، تعيد قراءتها ، وتصلح من شانها ما تصلح • ويحسن ان تتركها اياما قبل ان تبدأ خطوة أخرى ، لان هذه الايام تسمح لك بالتأمل وتخمير المادة واعادة النظر •

ولا تنس ان تعيد اصلاح الحزم بمقتضى ما يجد لك فى ضوء الخطة الموسعة • الخطة الموسعة امتحان عام للخطوات السابقة وتثبيت للاساس

الذى تنهض عليه البناية المنتظرة • هى بداية للعمل الـذى يقتضى عقـــلا مستوعبا وذهنا شاملا وذكاء رابطا بين الاجزاء وروحا تشيع فى المادة •

لقد بدأنا نبتعد عن مرحلة الجمع والعقلية الجمّاعة ذات النظـــرة الجزئية ، وشرعنا فى العقلية الناقدة البناءة ذات النظرة الكلية •

٢ ـ المســـودة

تحضر الخطة الموسعة أمامك، ومجموع الجذاذات مبوبة عليها حسب آخر تعديل لها ، ومقدارا كبيرا من ورق أبيض (مخطط) يزيـد كثـيرا عن الحجـــم المنتظر للبحث ، يفضل فيه ان يكون منفصـــلا بعضه عن بعض مما يمكن جمعه فى اضبارة • ويستحسن ان تستعمل دفترا من هذا النوع الذى يشبه « الدوسية » وقد يسمى أحياناً « لفكس » بالمعنى السوقى وهــو الورقة من مكان الى آخر ، أو نقل مجموعة من الورق تكوّن فقرة طويلة loose leaf book أو field (= Classeur) مما يســـهل نقــل أو فصلا دون ان تضطر الى تمزيق واعادة كتابة ودون ان يختل نظام الدفتر •

وتبدأ الكتابة ، وأهم ما تعنيه الكتابة هنا نقل ما جاء فى الجذاذات الى هذه الاوراق المنفصلة التى أمامك تاركا اكبر هامش معقول الى يمينك والى أسفل الصفحة ، واكبر بياض مناسب بين فقرة وفقرة لتفيـــد من ذلك لدى التعليق والاضافة ولتحفظ المتن من الفوضى والاضطراب ، ويحسن ان تبدأ كل فقرة أو فكرة صغيرة جديدة بورقة جديدة • واكتب ـ دائما على وجه واحد ـ ان الكرم بالورق أساس نافع •

تجمع تحت النقطة الاولى من الخطـــة ما توافـر لديك من مـادة على الجذاذات ، تنقلها ـ قدر الامكان ـ كما هى واضعا كل خبر أو جزء من خبر بين أربعة أقواس من هذا النوع « » توضع مرتفعة قليلا عن خط السطر • ولك فى الاشارة الى المصدر الذى اقتبست منه ما بين الاقواس طريقتان :

الاولى : ان تكتب المختصر الذى تبنيته لاسم المؤلف (او لاسم المصدر

ان كنت ممن يتبع الكتب اساسا فى الاشارة) بحرف صغير وحبر يختلف عما تكتب فيه ، بين السطور مبتدئا من اعلى نهاية الاقواس ، وتكتب ـ طبعا ـ مع المصدر الجزء والصفحة فتقول : « ‎.....‎ »الاصبهاني ١٦ : ٢٥ وهذا يعني ان الخبر ماخوذ عن الاغانى تأليف ابى الفرج الاصبهانى ، الجزء السادس عشر ، الصفحة الخامسة والعشرون • وليس مناسبا ان تكتب ج١٦ ، ص٢٥ • كما اعتاد بعض المؤلفين لان الرمز ١٦ : ٢٥ (او ٢٥/١٦) عالمى وفيه ذكاء واقتصاد بالمكان والوقت ، فليس معقولا ان تكرر أنت (الآن) والمطبعة (فيما بعد) كلمات كثيرة لا داعى لها •

الثانية : ان تضع أرقاما صغيرة متسلسلة على الزاوية العليا من نهاية الاقواس : «....»[١] ، «....»[٢] ، «....»[٣] ، «....»[٤] وتكتب فى ذيل الصفحة ما تدل عليه هذه الارقام ـ بحرف أصغر من المعتاد وبحبر يختلف لونا عن حبر المتن :

(١) الاصبهانى ١٦ : ٢٥ • اى الاغانى لابى الفرج الاصبهانى ، الجزء السادس عشر ، الصفحة الخامسة والعشرون •

(٢) ابن قتيبة ٦٢٠ • اى الصفحة الـ ٦٢٠ من الشعر والشعراء لابن قتيبة •

(٣) ابن خلكان ٤ : ٣١ • اى الصفحة الـ ٣١ من الجزء ٤ من وفيات الاعيان لابن خلكان •

والمفضل هنا ان تكتب كل رقم من أرقام الأحالة على المصدر فى سطر خاص من ذيل الصفحة وان تكتب بين سطر وسطر احتياطا لزيادات تطرأ •

وقد تكون الطريقة الاولى أنسب لانها لا تؤدى الى اضطراب الارقام او ضرورة تعديلها عند حذف خبر او زيادة خبر •

واذا كان الخبر الواحد قد ورد فى اكثر من مصدر فانك تسلك احدى الطريقتين كذلك مع ما يقتضيه الموقف الجديد من تغيير ، فعلى الطريقة الاولى تقول :

«.......» الاصبهانى ١٦ : ٢٥ ، ابن خلكان ٤ : ٤٣ •

«......» ابن قتيبة ٦٢٠ ، المرزبانى ١٨٠ •

وعلى الطريقة الثانية تقول :

«.....»[١] ، «.....»[٢]

وتكتب فى الذيل :

(١) الاصبهانى ١٦ : ٢٥ ، ابن خلكان ٤ : ٤٣ •

(٢) ابن قتيبة ٦٢٠ ، المرزبانى ١٨٠ •

لاحظ ان كل اشارة كاملة الى المصدر تنتهى بنقطة •

واذا كان للمؤلف الواحد اكثر من كتاب يتصل ببحثك ، تركت أهم هذه الكتب من دون نص على اسمه او موجز اسمه ، ووضعت بعد اسم المؤلف (اى ما تبنيته من شهرته للدلالة عليه) خطا قصيرا تأتى بعده كلمة ذات دلالة من عنوان الكتاب الثانى او الثالث ••• فاذا قلت :

«.......» الاصبهانى – مقاتل ٣٤ •

فان ذلك يعنى انك أخذت الخبر من الصفحة الـ ٣٤ من كتاب مقاتل الطالبيين من مؤلفات أبى الفرج الاصبهانى • وقد وضعنا كلمة « مقاتل » بعد الاصبهانى ــ لاننا استعملنا فى البحث نفسه مصدرا آخر مهما بين مؤلفات أبى الفرج الاصبهانى الا وهو « الاغانى » • ولا ننص على هذا المصدر المهم عندما نأخذ منه ونكتفى بكلمة « الاصبهانى » لاننا نستعمل الاغانى كثيرا ولم يبق داع لتمييزه وتكراره •

وقل مثل ذلك فى المصادر الاخرى ، اذا قلت : ابن قتيبة ٦٢٠ فان ذلك يعنى الشعر والشعراء (من دون نص) ، واذا قلت ابن قتيبة ــ عيون ٣ : ٢٥ • فان ذلك يعني الصفحة الـ ٢٥ من الجزء الـ ٣ من كتاب عيون الاخبار من مؤلفات ابن قتيبة •

واذا كان الخبر المقتبس قد ورد فى أكثر من مصدر فانك ــ بالطبع ــ سترتب هذه المصادر حسب تسلسلها الزمنى مبتدئا بالأقدم • فتقول : ابن سلام ٣٠ ، الاصبهانى ٥ : ٤٥ ، ابن خلكان ٦ : ٧٠ •

وتفصل بين مصدر ومصدر بفاصلة (،) وقد تفضل الفاصلة المنقوطة (؛) ، ويكون هذا التفضيل للفصل بين أسماء المؤلفين واجبا اذا ورد الخبر فى أكثر من كتاب لمؤلف واحد بين المصادر الاخرى •

ابن سلام ٣٠ ؛ الاصبهانى ٥ ـ ٤٥ ، مقاتل ٣٠ ؛ ابن خلكان ٦ : ٥٧٠

اما فائدة هذا الاختصار فهى الاقتصاد بالورق والتوفير لدى الطبع والتخلص من التكرار غير المفيد ، فانك لو كتبت الجزء الفلانى أو ، ج كذا ، وكتبت اسم المؤلف كاملا واسم الكتاب كذلك ... أضعت كثيرا من المكان والوقت هباءً •

اما اسم المطبعة ومكانها وتاريخ الطبع فليس معقولا ان يذكر شيء منها لدى الاشارات وان كان بعضهم يرى ذكر هذه الاشياء لدى اول اشارة ترد • الا ان هذا الرأي لا داعى اليه اذا نظمنا فهارس المصادر على الطريقة الدقيقة التى ستراها •

تستمر بالكتابة فى النقاط الاخرى من الخطة مقتبسا من الجذاذات هذا الخبر نصا وملخصا ذاك ومشيرا اشارة عابرة الى آخر ومهملا ما لا نفع فيه ومناقشا ما يستحق المناقشة وناقدا ما يجب ان ينقد ومعلقا على ما ترى التعليق عليه ضرورة ـ علما ان المفضل لدى المسودة الاولى هو الاقتباس الكامل حتى لما يمكن ان يبدو تافها ، فلرب خبر تراه غير جدير بالنص يمكن ان يكون له ما وراءه فيما بعد • وتذكر انك لست الآن فى مرحلة كاملة للنقد والمناقشة وانما همك الاول ان تنقل ما فى الجذاذات الى ورق الدفتر مترابطا ومتصلا فى ضوء نقاط الخطة •

اما هذا التعليق الذى تذكره ، او النقد الذى تثبته فهو عاجل تحفظه هنا من الضياع ، فقد تفيد منه لدى المرحلة التالية •

اذا كان الخبر الذى نقلته الى متن مسودتك هذه قد أخذته عن باحث حديث فيجب ان تشير اليه واضحا فى الهامش لتلقى عنك المسؤولية ولتحفظ الحق لصاحبه ، لانك مطالب كل المطالبة بأن ترجع ـ لدى أول فرصة ـ الى المصدر الذى اقتبس منه الباحث الحديث •

وإياك ان تذكر فى الهامش[1] مصدرا لم ترجع اليه ، لان ذلك يعنى الخيانة والخداع ، ولانه يعرضك لنقاش يؤدى الى فضحك • فقد يكون النص قد نقل نقلا غير أمين ، وقد يكون المصدر المنقول عنه نادرا جدا أو مخطوطا نادرا يعرف النقاد والمناقشون ندرته فتحرج بما يندى الجبين •

وهكذا ••• تنقل المادة من الجذاذات حسب نقاط الخطة ، تنقل وتشير الى المصادر وتعلق تاركا فضلة مناسبة من بياض على اليمين والاسفل وما بين الفقر ••• حتى تستنفد مادة الجذاذات بمعنى أنك نقلتها من الجذاذات المتقطعة الصغيرة الى الورق المتوالى المتسع لربط الاخبار والنصوص ووصلها متتابعة مكونة وحدة ـ أو تكاد •

وليس لك ان تسمى مجموع هذا الورق كتابا لانه ـ كما رأيت ـ لا يزيد على مجموع من الورق يضم أجزاء مادة البحث الخام بعضها الى بعض • وان كان فى الناس من يجرؤ على تسميته كتابا ويطبعه وينشره ويفخر به على انه « بحث » !

لا ••• ليس هذا هو البحث ، وان صاحبنا الفخور قد ادعى ما ليس له ؛ فانه بذل الجهد فى الجمع وفى نقل المجموع من الجذاذات الى

---

(١) الحاشية ، الهامش ، الذيل ، ثلاثة مصطلحات مختلفة المعنى ان اردنا الدقة فى الاستعمال •

فالحاشية (وجمعها حواش) هى البياض الذى يحيط النص اى المتن من الصفحة ، وقد يكون الى اليمين او الى اليسار او فى الاعلى او فى الاسفل •

والهامش يعنى البياض الذى على يمين المتن من الصفحة (او يساره) ، وقد يستعمل لعنوانات جانبية •

والذيل هو البياض الذى فى اسفل الصفحة من المتن ، وتكتب فيه الاحالة الى المصادر ونقول وتعليقات وشروح لما يرد فى المتن دون ان تكون على قدر المتن من الاهمية ، وهو فى هذا اقرب الى الكلمة الانكليزية footnotes .

ولكننا اعتدنا ان نستعمل كلمة الهامش للدلالة على الذيل ، فاذا قلنا هامش الصفحة قصدنا الى ما يكتب اسفلها من احالة او شرح ، كأننا لا نرى لبسا فى الدلالة ، واعتدنا كذلك استعمال كلمة حواش لهذه الدلالة نفسها •

الورق واستنفد في ذلك وقتا وصبرا ، وهو مشكور لو وقف عند هذا الحد الذي عرف به منتهى طاقته وهيأ للآخرين مادة يمكن ان يتصرفوا بها •

لو وقف عند هذا وفخر بصبره لاقررناه على ذلك ، ولحمدنا له انه لم يكلف نفسه ما لا تطيق ويقسرها على الظهور بمظهر المفكر الذي يحلل ويعلل فتأتي استنباطاته مغايرة للمادة المجموعة فتبدو نابية او مضحكة ـ أحيانا •

والحقيقة ان الجمع وحده (من غير مناقشة تذكر) نافع ، ويسمى صاحبه اذا وقف عنده « جمّاعة » compilator (compilateur=)

والمؤلفون لدى هذه المرحلة نوعان : نوع يقف عندها فيكون نفعه بأن يختصر الخطوات لمؤلف آخر في الموضوع نفسه يأتي الى هذه المادة المجموعة ويلقي عليها نظرة ويقرأها ثم يعمل فكره فيها نقدا وبناءً وانشاءً ؛ ونوع تكون له مواهب أخرى ـ بعد الجمع ـ فيقوم هو نفسه بالخطوات التالية •

والحقيقة ان الخطوات التالية هي التي تمنحه صفة الباحث وتقرر قيمة البحث وأصالته •

اننا سمينا هذه الخطوة : « المسوّدة الاولى » على كثير من التجوز والا فهي ـ لدى التحقيق ـ نقل المادة التي في الجذاذات الى الورق ، انها عملية نقل بعد جمع ، ويكاد يكون هذا القدر الضئيل الذي سمحنا به من التعليق والمناقشة خارجا عنها •

٣ ـ قراءة المسودة الاولى ••• للتعليق

تترك هذه المادة المنقولة الى الاوراق من الجذاذات مدة من الزمن يحسن الا تطول ثم تعود اليها تقرءها في ساعات من ارتياح النفس ، فليس من صالح البحث ان تقسر نفسك على خطوة من خطواته بدافع من ضيق الوقت او برغبة في الانتهاء من موضوع تحس بأنك اضعت فيه كثيرا من عمرك • ليس البحث سخرة ، وانما هو امانة يجب ان تؤدى كاملة •

انك تحاول ان تبدأ هذه الخطوة ، فان لم تستجب النفس سريعا أمهلها قليلا ولا بأس من اجبار قليل ، فقد تستجيب النفس بعده وتنسجم ، فان كان فذاك ، والا فاترك الامر قليلا حتى تحس بالرغبة فى نفسك ، ان هذه المدة ضرورية ، وهى لا تذهب هدرا ، وانما يجرى فيها تخمير وتكامل.

تقرأ وبيدك القلم وتقف عند كل نقطة وكل خبر وكل نص ، وتكتب كل ما تثيره فيك القراءة من شرح وتفسير وكل ما توقظه من رأي تأييدا أو تفنيدا ، ولك فى الهامش والذيل والبياض بين الفقر متسع يسهل عليك المهمة ، فاذا فاض التعليق عن البياض المحدود وامكن ان تضع ورقة بيضاء جديدة فيها فافعل ، والا فلا بأس فى ان تستعمل ظهر الورقة بعد رسم سهم ← يشير اليه — وليكن السهم بلون أحمر .

ومناسب جدا ان تقف بعد الانتهاء من كل فصل ، تستريح قليلا فى الظاهر ، ولكن العقل يبقى مشغولا ، وكثيرا ما يتوارد عليه شيء نسيه او شيء لم يحسب له حسابا ولكنه ذو قيمة ، ان العقل يبقى متصلا بالمسألة حتى لو تحوّلت الى عمل آخر لا صلة له بما انت فيه : ان ما يسمى بالعقل الباطن يؤدى خدمات مهمة فى كل خطوة من خطوات البحث .

ثم تستأنف . أجل ، قف ، واقرأ ، واكتب من دون تشدد فى حساب نفسك ، ويكفيك انك لا تكتب شيئا جئت به من الخارج ، وانما تكتب ما تثيره فيك المادة التى أمامك موصلا ذلك بهذا التاريخ الطويل الذى بدأت به عملك أو أقدمت عليه وما تولد فيك وقام فى نفسك وارتبط بفكرك .

أكتب بكل حرية ولا تخف شيئا لانك لن تذيع عملك هذا فى الناس على هذه الصورة ، انك الآن فى مرحلة الحرية ، مرحلة التحرر من كل قيد ، الا قيد الامانة وقيد استلهام شيء موجود أمامك . انها فرصة نادرة جدا فى خطوات البحث . وقد رأيت كيف كنت مقيدا جدا فى الخطوات السابقة ، فلا تدع الفرصة تفوتك ، لانك ستعود بعدها الى القيد .

قلّب المادة التى أمامك على وجوهها ، كن مرة لها ، ومرة عليها ، انفذ الى ما وراء الحروف من أفكار وهواجس وعواطف وأخيلة ، عش

معها ، حاورها ، حدثها ، سجل كل ما يعن لك ويرد عليك ، لانك تكتب استلهاما بعد ان احتواك جو وتهيأت لك مادة ومر عليك زمن وحدثت فيك ألفــة .

وقد تحس بتناقض وترى لو انك أعدت النظر فيما كتبت قبل قليل ؛ سجل احساسك هذا ، وسجل رأيك الجديد مشيرا الى الرأى القديم - وامض .

واذا احسست بأن شيئا يحتاج الى مراجعة أحد المصادر او استشارة أحد الاشخاص كتبت ذلك على الهامش ووضعت ازاءه (او فوقه) علامة استفهام بلون أحمر ، بمعنى انك ستعود اليه وتنظر فى أمره ، أما الآن فأنت تعيش فى جو عام لا يحسن ان تعكّره لانه لا يعود فى سهولة ، ولانك فى ظل العقل الباطن فدعه يخرج مخزونه ويذيع مكنونه .

وقف ازاء النصوص الادبية - شعرا كانت أو نثرا - وافهمها جيدا وحلّق مع صاحبها الى أبعد الآفاق . انظر الى النص من قريب ، وانظر اليه من بعيد ، وانظر على انه خالد ، وانظر على انه ردىء .

الانطلاق نافع - ثم ان وراء هذه الخطوة خطوة ، وربما خطوات .

٤ - النقد الداخلي ... والخارجي

مرت معنا كلمة « النقد » مرارا ، عند دراسة المصادر وعند القراءة فيها وترتيبها زمنيا، وعند النقل منها الى الجذاذات، وعند النقل من الجذاذات الى « الدفتر ذى الاوراق المنفصلة » او ما سميناه المسودة الاولى ثم -أخيرا- لدى قراءة المسودة للتعليق .

والمفهوم العام لكلمة « نقد » معروف : النظر فى الخبر او النص والتأكد من صحته ثم بيان جيده ورديئه وخيره وشره فيما يتصل ببحثنا لنكون على علم بما نأخذ وما ندع .

ولنبدأ بالبداية ونقول : ان الباحث الادبى ازاء نوعين من المادة التى يتكون منها بحثه .

الاول : النصوص الانشائية من شعر وخطب ورسائل ومقامات ...
فنيـــة .

الثاني : الوثائق والاخبار التي تتعلق بالمادة الانشائية كلاً أو بعضاً ، وبحياة صاحبها أو اصحابها ، وبالعصر الذي ولدت فيه ، والزمن الذي سارت معه .

ويأتي النقد لأي من هذين النوعين على حالتين :

الاولى : النقد الخارجي (الظاهري)
(Critique externe =) external criticism

الثانية : النقد الداخلي (الباطني)
(Critique interne =) internal criticism

واهم ما يقصد اليه النقد الخارجي :

١ ـ نقد التصحيح ، أي امتحـان صحة الخبـر والنص الذي بين أيدينا ، وهل وصلا الينا كما هما اي كما تركهما صاحبهما من دون زيادة أو نقص أو تحريف أو اختلاق ؟ أو هل يتفقان ـ في الاقل ـ مع نسخة المؤلف التي كتبها بخطه ؟

ويتم ذلك بدراسة اللغة والخط وما اعتاد النساخ ان يقعوا فيه من خلط لدى نسخهم مادة مناظرة ؛ ويستدعي ذلك ـ فيما يستدعي ـ المقابلة بين النسخ .

٢ ـ نقد المنشأ اي المصدر الذي جاء النص أو الخبر عن طريقه : من أين ؟ متى ؟ من المؤلف ؟ ومعرفة المؤلف مهمة ، ويستعان على الامتحان بدراسة الوقائع الواردة في ضوء الوقائع نفسها لدى مؤلفين آخرين .

ولاشك في أهمية هذا النوع من النقد لانه يكوّن المنطلق السـليم والا فما قيمة دراسة طويلة تحليلية لنص ، وما قيمة الاستدلال بخبر ، اذا لم يكونا سليمين صحيحين ، ان الدراسة من دون النقد الخارجي بناء على أساس واه وشفا حرف هار .

ويمكن ان يقول باحث : ليس النقد الخارجي من مهمتي ، وانما هو مهمة أناس معينين لهم تخصص في مثل هذه الاشياء ، هم يهيئون لي المادة

سليمة وانا اعتمدها فى بحثى • والقول صحيح • ان الباحث يجب ان يجد أمامه الدواوين الصحيحة والخطب الصحيحة والرسائل والمقامات ••• الصحيحة • يجدها ثمرة لجهد آخرين نسميهم المحققين • فهؤلاء هم الذين يبحثون عن المخطوطات ، ويتخذون أُمّاً أصدق المخطوطات يقابلون عليها النسخ الاخرى جاهدين لان يقدموا للباحثين والقارئين النصوص كما تركها اصحابها أو اقرب ما تكون الى ما تركها عليه اصحابها •

وقل مثل ذلك فى كتب الادب العامة والاخبار ••• والتاريخ ، فليس هم الباحث الاول تحقيق النصوص والاخبار ولاسيما اذا كان باحثا فى الأدب القديم •

وقد بدأ الغربيون يحققون لنا كتبا مهمة مستفيدين من مناهج تحقيقهم فى ادبهم وتاريخهم وتراثهم ثم أخذنا عنهم هذه المناهج وبدأنا نحقق وكان فينا المجوِّد الامين • حتى صار بامكان الباحث ان يجد عددا لا بأس به من الدواوين والمصادر محققا على وجه يمكن اعتماده والاطمئنان الى انه نقد نقدا خارجيا • اما القسم الباقى ــ وهو غير قليل ــ فقد بقى بعيدا عن التحقيق الصحيح وكان لابد للباحث من ان يكون محققا اولا ثم يتولى البحث • مما يضاعف عليه المسؤولية والجهد ويلقى على عاتقه مهمة النقد الخارجى فى نقد التصحيح ونقد المنشأ •

وخلاصة ما رأينا فى هذين النوعين : استبعاد الاخبار والنصوص غير الصحيحة والاحتفاظ بما هو صحيح • ولهذا وصفا بالسلبية •

٣ ــ اما الايجابية فقد ادخرت للنوع الثالث من النقد الخارجى وهو الذى يعنى الترتيب النقدى للمصادر على أساس من تسلسلها الزمنى مبتدئا بالاقدم ثم أخذ المعلومات من تلك المصادر موزعة على الجذاذات اى انه يعلمنا كيف نفيد من الاخبار والنصوص الصحيحة ــ ومن هنا وصف بالايجابية •

وقد رأينا هذا النوع وطبقناه منذ البداية •

وهذا من صميم عمل الباحث ، وان كان من الناس من يزدريه ويزدرى أصحابه لانه يراه عملية لا تحتاج الى كثير من الذكاء • والازدراء غير وارد ، وكل ما فى الامر انه يحتاج من الصبر ما لا يحتمله الآخرون ،

وان عددا غير قليل ممن يتميزون به تقف بهم مقدراتهم عند حدوده من الجمع ، على حين يستدعى البحث الحق خطوات أخرى أكثر أهمية وأشد خطورة ـ وليكن •

ثم يأتى النوع الثانى من النقد ، وهو النقد الداخلى (الباطنى) ، وقد يكون أصعب من سابقه أو انه يحتاج ـ فى أقل تقدير ـ الى مؤهلات غير مؤهلات الناقد الخارجي وان هذه المؤهلات قد تجتمع هى والمؤهلات الاخرى فى شخص واحد وهذا هو الاكمل فى البحث ، وقد تفترق فيقطف الثانى ثمار الاول ـ ولا بأس •

وأهم ما يقصد اليه النقد الخارجى :

١ ـ عملية ايجابية تثبت الاشياء كما هى اى تحلل (تجزىء) الخبر (او النص) الى عناصره المختلفة ـ وليكن ذلك على الجذاذات ـ لتحديد فكرة المؤلف الحقيقية وللتأكد مما أراد أن يقوله هذا المؤلف بمعناه الحرفى •

٢ ـ عملية سلبية ، فانك اذ تصل الى المعنى الحقيقى تسعى الى النفوذ الى اعماقه ، وتبدأ سيرك بالشك المنهجى بنفي صحة ما تراه أمامك ـ ان شئت ـ ومن هنا جاءت صفة السلبية لهذه المرحلة من النقد الخارجى •

الشك فى صحة ماترى ، الشك فى المؤلف، تكذيبه ، وقد يكون ـ لسبب ولآخر ـ كاذبا يقول ما لا يعتقد أو يعتقد بما لم يكن ، وقد يوصلك الشك الى نتيجة فتجد كذبا وغير قليل من الكذب الذى لا يمكن ان يعتمده باحث على انه حقيقة ، فيعمل على عزله وابعاده معتمدا فى تأكيد شكه الادلة القائمة على الظروف المحيطة بصاحب النص او الخبر لدى تأليفهما ، وكم من قائل خلاف ما يرى • واذا كان الامر كذبا ، فهل الباحث ملزم بأن يستشهد به ويعتده دليلا ؟ لا ـ انك تقف بهذا موقفا سلبيا •

وكل ما ينصح به لدى النقد على الموقف السلبى ان يكون الناقد حذرا غير مبالغ ، لا ينفى من أجل النفي ، ولا يقرر ما يقرر الا بعد ان تنضج لديه الامور كأن لم يكن المؤلف أمينا ولم يكن شاهد عيان أو حسن الاطلاع ولم يكن خائفا او طامعا ، أو حاقدا •

والذى يصح بعد هذا الموقف من الاخبار والنصوص ، هو الذى

يستحق عناية الباحث ويستأهل أن يستشهد به .

* * *

ولدينا فى النقد أمثلة جديرة ان تذكر :

الاول : موقف القدماء من الشعر القديم الذى وصل على انه « جاهلى » فنبذوا غير قليل منه لحجج معقولة . وقد لخص محمد بن سلام فى كتابه « طبقات الشعراء » خلاصة موقف القدماء .

الثاني : موقف ماركوليوث وطه حسين من الشعر الجاهلى ـ وهو انموذج النفى للنفى القائم على المغالطة .

الثالث : منهج الدكتور محمد مهدى البصير وهو يدرس « الشعر الجاهلى » او « الاسلامى والاموى » وحتى العباسى . وكذلك موقفه من دراسة النثر وفى مقدمته « نهج البلاغة » ـ المنهج سليم[1] .

والخلاصة ان الباحث مسؤول عن احكامه . ومعنى هذا انه مسؤول عن المادة التى يبنى بحثه ويقيم عليها حكمه وهذه المسؤولية تلزمه بأن يكون ناقدا ـ الى جوار كونه جامعا . انه يجمع ولكنه لا يحطب فى الظلام ، وهو يجمع ولكنه لا يستعمل كل ما يجمع ولا يثق به ، فلابد من مزاولة النقد الخارجى ان لم يجد المحققين قد قاموا بالمهمة قبله بل انه ملزم بشيء منه حتى فى الحالة التى يكون امامه النص او الخبر محققا ؛ ولابد من مزاولة النقد الداخلي بوجهيه الايجابى ليعرف الامور كما هى ، والسلبى اذ يشك فيما يرى وقد يبين له شكه الكذب فى أقوال الآخرين[2] .

---

(١) فانه لا يسلم بما يقرأ من أخبار وآراء ونصوص ، وانما يقف منها موقف المرتاب . ثم يعيد القراءة مرة أخرى وأخرى ويفكر بالامر طويلا مقلبا اياه على حالاته المختلفة ـ ايجابا وسلبا ـ جامعا اليه أشباهه ونظائره متأملا فيما يكتنفه من تناقض ، مستعينا بذخيرته الثقافية وما استقر في نفسه بطول التجربة والدرس ، حتى اذا تأكد صحة ارتيابه قطع بالنفي أو رجحه مثبتا أدلته على ذلك فى وضوح وصراحة ، تنظر مجلة الاديب البيروتية ابريل (نيسان) ١٩٦٨ .

ومن الامثلة الجيدة كتاب الدكتور محمد أحمد خلف الله ـ صاحب الاغانى أبو الفرج الاصفهاني « الراوية » : القاهرة ، دار الكاتب العربي ط٣ ، ١٩٦٨ (مقدمة ط١ ، ١٩٥٣) .

(٢) ينظر للتفصيل في النقد الخارجي والداخلي رستم ـ مصطلح =

ان النقد الداخلي يدل على شخصية الباحث وبعد نظره وذكائه ، أما التطرف فيه ولاسيما فى الجانب السلبى منه فقد يدل على ضيق فى الافق أو طلب للشهرة عن طريق المخلفة أو ٠٠ أو ٠٠ كما ان تحكم منطقك الخاص فى الاشياء أمر يدل على تزمت وقد يؤدى الى ظلم ، وليس من المنطق المبالغة فى المنطق ٠

لا تنس ان الباحث يجب ان يبقى رصينا فى كل الاحوال ٠

واذ تقف من النصوص والأخبار التى أمامك فى مصادرها بعد ان نقلتها الى الجذاذات أو منها الى المسودة ، موقف الناقد تقرب نفسك من الحقيقة وتجنبها المزالق ولك بعد ذلك ان تمسك بالقلم « وتشطب » كل ما ثبت لك زيفه ان رأيت الامر يمكن ان ينتهى بالشطب ، او ان تبرهن على الخطأ والكذب فى هذا النص او ذاك الخبر اذا خشيت لومة لائم وجهل جاهل ، أو أن تنزل الخبر أو ملخصه الى الذيل ان وجدت فى ذلك بعض نفع ٠

٥ ـ قراءة ناقدة من أجل وحدة البحث

أمامك الآن مسوّدة خرجت عن كونها نقلا من الجذاذات فقط لأنك ملأت الفراغ ووضعت الهوامش وعلقت ونقدت ٠٠٠ وبقيت عليك أمور أخرى لابد منها لتقرب بعملك من الشكل الذى ستقدمه عليه للآخرين بعد ان خرجت من المرحلة التى كنت فيها حرا كأنك تعمل لنفسك ٠

وهذه الامور كثيرة ، أهمها :

١ ـ الجواب عن علامات الاستفهام التى كنت تضعها هنا وهناك من الهامش على الاخبار والآراء والنصوص قاصدا العودة اليها بعد الانتهاء لتكمل

= التاريخ ـ الباب الثالث ١٢ ـ ؛ عثمان ـ منهج البحث التاريخي ٨١ ـ ، بدوى ـ مناهج البحث العلمي ١٨٨ ـ ، لانجلوا وسنيوبوس ـ المدخل الى الدراسات التأريخية بترجمة عبدالرحمن بدوى فى كتاب « النقد التاريخي » (وعليه كان اعتمادنا اولا) ٠

أما كتب قواعد التحقيق فلدينا منها كتاب برجستراسر ـ أصول نقد النصوص ونشر الكتب ، وكتاب عبدالسلام هارون ـ تحقيق النصوص ونشرها ، وكتاب صلاح الدين المنجد ـ قواعد تحقيق المخطوطات٠ وبالفرنسية كتاب بلاشير وسوفاجه « قواعد لتحقيق النصوص العربية وترجمتها » ٠

نقصها وتقرر مصيرها على سعة من البال وتفرغ للموقف •

ففى هذا النص اشكال ، لنحله ، وفيه غموض ، لنجلوه ، وبه حاجة الى الشكل لنضبطه •••؛ وفى هذا الخبر جملة لم تنقل فى دقة ، وكلمة قلقة ؛ لنرجع الى الاصل لنستوفى الدقة ونزيل دواعى القلق ؛ واشياء تستدعي المعجم ، او الطبعة الأتم ، او سؤال من هو أعلم ، فلنذهب الى المعجم والطبعة الأتم والخبير العليم ؛ وهذا رأي فطير ، فليحذف ، وهذا تعليق مبتور فليكمل ؛ وهذا يناقض سابقه فلنبق الاصلح •

٢ ــ التناسب فى الطول والقصر • اى الاكتفاء من النصوص والاخبار الطويلة بأقصر ما يؤدى المطلوب وهذا يعنى ايجاز ما أطلت فيه لغير سبب ولا بأس من اعادة كتابته على وجه جديد •

وكنت تنقل الخبر كاملا على طوله ، وقد تنقل الخبر الواحد مرتين وثلاثا وأربعا عن مصادر تختلف ، فعليك الآن أن تقرر الاصلح للبقاء مكملا اياه بما تراه ضروريا من الاخبار الاخرى ، حاذفا الباقى •

وكنت تنقل النص كاملاً : القصيدة كلها ، الخطبة كلها ، الرسالة كلها ••• فى كل موقف من مواقف بحثك لكى يكون الفهم تاماً والحكم متناسقاً ، أما الآن فما بك حاجة الى أكثر من أبيات من هذه القصيدة وأسطر من تلك الخطبة أو الرسالة فلتبق الضرورى وتحذف الزائد • وتنزل الى الذيل ما مكانه الذيل ، مطولاً أو مختصراً مشيراً الى مصدره فقط •

٣ ــ مراعاة مكان الفقر والفصول • فقد تكون فقرة فى غير مكانها فتنقلها حيث يجب أن تكون أكثر صلة بما حولها ، وقد يكون فصل متأخراً فتقدمه أو متقدماً فتؤخره • وتحذف خلال ذلك ما تحذف ••• وتضيف ما تضيف على مقتضى الحال •

٤ ــ نظرة الى الإحالات • لأنك بعد أن قدمت وأخرت يجب أن تقدم وتؤخر فى الإحالات ــ وأرقامها ان كنت اتبعت نظام الأرقام فى الإحالة على المصادر ــ تبعاً لذلك • ثم تنقى هذه الإحالات اى انك تبقى الضرورى منها ، وتحذف الثانوى والتافه والمكرر كثيراً • ومن الناس ــ بعد أن علم أن البحث العلمى الحديث يعنى بالإحالة الى المصادر ــ من يكثر فى الإحالة

ويغرق بالاشارات فما يكاد يذكر كلمة فى المتن حتى يضع عليها رقماً وينزل الى الذيل يذكر المصادر الكثيرة التى وردت فيها ناصّاً على الاجزاء والصفحات ، وفى هذا جهد ضائع يخرج بالإحالة عن القصد الاول منها وهو التوثق حيث يحتمل أن يقع الشك ، ومعنى هذا ان نقتصر من الاشارة الى المصدر على الحالات الضرورية من هذا الباب ، وذلك عندما يكون الخبر غريباً أو نادراً او غير متداول ؛ وعندما يكون الرأى جديداً لابد من اسناده بالمصادر والوثائق .

لقد وضعت عند النقل الى الجذاذات وعند النقل منها الى المسودة الاحالات كاملة الى كل ما رجعت اليه ، وذلك حقك لأنك لا تتبين الأهم على شكل قطعى ، أما الآن فقد اتضحت الامور ، فاحذف الثانوى جداً وأكد المهم .

ولاحظ ان المفضل فى تتابع المصادر اذا تكررت لخبر واحد : الترتيب الزمني مبتدئاً بالاقدم . وقد تبدأ بالأهم وان كان متأخراً . وتفصل بين المصدر والمصدر بعد ذكر أرقام الأجزاء والصحات بفاصلة أو فاصلة منقوطة ، واذا كان للمؤلف الواحد أكثر من مصدر فى الخبر نفسه وجب الفصل بين المؤلفين بفاصلة منقوطة ، والفصل بين مصادر المؤلف الواحد بفاصلة فقط وقد مرّ ذلك معنا .

وقد تحذف الخبر كله وتكتفي بالاشارة اليه فقط ، اما اذا كان الخبر فى المصدر الذى تريد أن تشير اليه يخالف قليلاً الخبر الذي اقتبسته من مصدر آخر وان الرأى فيه يخالف قليلاً الرأى الذى تبنيته ، أو أن مصدراً آخر ومرجعاً آخر يحتوى على تفصيلات لا تريد أن تدخل فيها أو انك تريد ان تكتفى بغيرك فيها فانك تكتب فى الذيل فى هذه الحالات : يُنظر .... ذاكراً المصادر والصفحة منه (ولا شك فى ان يُنظر بالبناء للمجهول أرقى من انظر بصيغة الأمر وانا اذ نذكر هذا ، فانما نفيد من منهج الإحالة الفرنسية اذ يقول : Voir على المصدرية ولا يستعمل فعل الأمر) .

اما اذا كان الخبر او الرأي فى المصدر الذى يحيل عليه المؤلف يختلف عما فى مصدره الذى يعتمده ـ قليلاً أو كثيراً ـ وانه اذ يريد ان يتجنب

الدخول فى التفصيلات يريد ان يلفت نظر القارىء الى ذلك الخلاف فيحسن ان يستعمل : « يقابل » ذاكراً بعد الكلمة المصدر ومكان الخبر او الرأى من أجزائه وصفحات أجـــزائه ، مستفيداً بذلك من المصطلح الفرنسى cf أي comparey .

ان العلم بالمختصرات abreviation(=abréviation) ورموزها جزء من علم الباحث وفنه ، ومن هذه المختصرات التى يحتاج اليها وهو يعد مادة للتحرير (او التبييض) : مخ • أى مخطوطة ، ومنها : أعلاه وأدناه مشفوعتان برقم الجزء والصفحة للاشارة بذلك الى أن جانباً من الموضوع الذى تبحثه الآن قد مر معنا ، أو سيمر ، مستفيدين من المصطلح الفرنسى supra (أى ci-dessous) و infra (ci-dessous) .

ومنها نفسه ، تريد ان تقول : المصدر نفسه ، وذلك عندما تنقل اكثر من خبر واحد أو رأي واحد على التوالي عن مصدر واحد فى صفحة واحدة ، فتكتب حينئذ : نفسه اختصاراً وتجنباً للتكرار(على ألاّ يكون فى صفحتين مختلفتين من بحثك) مستفيدين بهذا المختصر من المصطلح الغربي Ibid (أي Ibidem) • ومنها : المصدر (او المرجع) السابق ، و .Id (أي Idem) عندما تكون الاحالة ـ عادة ـ الى المصدر (او المرجع) نفسه مع اختلاف فى الجزء او الصفحة •

ومن الباحثين من يختصر فى أسماء المؤلفين او المصادر ، ولـكن المحذور فى هذا أن تكثر الرموز ويصعب على القارىء متابعتها ـ كما يحدث مثلا لمن يراجع كتاب بروكلمان فى تاريخ الأدب العربى ـ ولهذا حسن أن يكون الاختصار ـ اذ وجد ـ فى الحالة الضرورية جداً وعلى الشكل الذي لا يربك القارىء •

ومن الناس من يغرق فى التعليق فى الهوامش ، فلا تكاد تمر كلمة إلا شرحها ولا حادثة إلا فصّلها ، وفى هذا غير قليل من الجهد الضائع لأن المعقول انك لا تشرح إلا المغلق جداً ولا تشرحه إلا ملخصاً لضرورة قصوى •

ان الاحالات الى المصدر فى ذيل الكتاب لابد منها فى البحث العلمي الحديث حتى إنها لتتخذ دليلاً شكليا على البحث ؛ ولكن يجب الاكتفاء بالضرورى والمهم على الوجه الموجز المركز لئلا تستحيل الحواشى غاية أو وسيلة للخداع .

وقد رأينا ان إثقال الهامش أمر لا يرغب فيه ، لذا ينصح بتخفيفه ومن النصائح فى هذا الباب أنك اذا رأيت ضرورة لتفسير مفردات او التعريف بأشخاص ، وكان عدد ما تراه ضرورياً لذلك يؤدى الى اثقال الهامش فعليك ان توحد بين هذه المواد وتنقلها كلها الى آخر الكتاب وتقدمها على شكل ملاحق ، ولا بأس في ان تنظمها تنظيماً معجمياً وتكتفى بأن تضع اشارة واحدة اليها فى المتن .

انك اذ تنظر فى المسودة من أجل وحدة البحث تحذف ما كان زائداً ، وتقصر الطويل وتنقل ما لم يكن مطمئناً فى مكانه وتبعد ما هو فطير أو شخصي جداً .

تذكر أنك على أبواب تقديم عملك الى الآخرين وان ذلك يستدعي المتانة فى الرأي ، والتماسك فى البناء والتناسب فى المقادير ـ أى النقاء ، ان اردت أن تلخص الموقف فى كلمة واحدة .

ملاحظتـــــــــان :

١ ـ انك بعد كل مرحلة او خلال كل مرحلة قد تشعر بتعب أو ملل ، فاعلم أن ذلك طبيعي ، وعليك ان تواظب رغم شعورك السلبى هذا ، فقد يكون غيمة عابرة تستأنف بعدها عملك منسجما . فاذا استمرت الحال معك فاترك عملك موقتاً وروّح عن نفسك بنزهة او سينما أو أي شيء ولا تخف لأنك ما أسرع ما تعود اليه (ان كان الجد صفة لك) .

وقد يعاودك أو يعتريك السأم فى هذه المرحلة أكثر مما فى غيرها ، وقد يكون الوقت أبطأ عليك فى المراحل الأخيرة منه فى المراحل الأولى . وليس فى الأمر غرابة لأنك سرت فى العمل أشواطاً ، ولأن الشوط الجديد يقتضي فكراً وذكاء ويقظة أكثر مما اقتضاه الشوط الاول .

المهم ان تعرف ذلك سلفاً ، وتزيد فى المدة الزمنية للبحث ـ ولا تقلق ، لأن القلق آفة فى كل مرحلة ، وفى المراحل الأخيرة بوجه خاص •

٢ ـ لا تفقد صلتك بأستاذك المشرف فى كل خطوة رئيسة تخطوها ، وكل رأى خطير ترتأيه •

وفي تقديم المادة الى الاستاذ ليطلع عليها ويرى فيها رأيه ويثبت ملاحظاته وتوجيهاته ، طريقتان :

الأولى : أن تقدم له عملك فصلاً فصلاً ، فما تكاد تنتهي من فصل حتى تحصل منه على موعد • وقد يطلب اليك أن تقرأه عليه فيصحح لك • وعليك أن تكون يقظاً للتصحيح وأن تكتب الملاحظات لئلا تنساها • ولا بأس فى ان تناقش أستاذك وتبين له مكان الصواب فى الأمر أي الأسباب التى أدت بك الى هذا الرأى دون غيره ، على أن يكون ذلك فى أدب ولطف ولباقة ـ ومن دون مقاطعة •

تعود بعدها الى البيت لتأخذ بالملاحظات
ولتكتب الفصل التالى ••• وهكذا •••
حتى تنتهى فيأذن لك بالطبع •••

الثانية : ان تراجعه للاتفاق على الخطة والعمل ، ولدى المشكلات الطارئة على أن تقدم له عملك كاملاً فيما بعد •

والطريقة الأولى هى السائدة وهى الأكثر صوابا لأنك تتثبت بها فى كل خطوة تخطوها ، ولا تبنى خطوة على خطأ تضطر معه الى أن تبدأ مجدداً عندما يتضح لك (او لكما) بعد فوات الأوان •

أما محاسن الطريقة الثانية فهي أنك لا تتقدم الى الاستاذ الا بعد أن يستوي بحثك وتنضج خطتك وتتهيأ له الوحدة بين الأجزاء فلا تضطر بعدها الى تقديم وتأخير وحذف وزيادة ••

ومهما يكن من شيء ، وأية طريقة سلكت ، فلابد من استيعاب عموم الموضوع وتحقيق وحدته المنتظرة قبل البدء بالكتابة وقبل اطلاع الاستاذ على الفصول ـ ولا تطلع الاستاذ الا بعد التبييض أي بعد أن تأخذ الفصول لديك شكلها النهائى •

الفصل الثامن

المبيّضة

أمامك الآن بحث مشوش الهيئة فحذف" هنا وزيادة هناك ، وتعليق هنا وتعليق هناك ، قد تضيق حاشية وقد تبقى أخرى بيضاء ، قد تضطر أن تكتب على ظهر ورقة وقد تبقى لديك ورقة كأنها بيضاء ، وقد ... وقد ... ولا تسل عن الاشارات والأسهم ...

إن هذا البحث متاهة للآخرين لا يكادون يعرفون أعلاه من أسفله ، وأوله من آخره . وقد يحدث لك شيء من هذا فى بعض المواقف ، وانك لو تركته مدة طويلة وعدت اليه صعب عليك ان تتبين مسالكه وبذلت جهداً كبيراً فى السيطرة على دروبه .

لذا ، فان أول واجب عليك بعد أن تنتهي من المسودة فى شكلها الأخير وبعد ان تنظر فيها نظرة من أجل وحدة أجزائها أن تقرأها ، وأن تخرجها من هيئة التشويش الى هيئة بيّنة واضحة أي أن تبيضها وأمامك الخطة فى آخر صورها وأكمل أجزائها : المقدمة ، التمهيد ، صلب البحث بأبوابه وفصوله ، وأجزاء فصوله أرقاماً وحروفاً ، الخاتمة .

وتذكر أنك فى هذه المرحلة من مراحل التحرير rédaction مسؤول عن سلامة الاداء ...

١ ـ المقـدمة

ان المقدمة التى تكتبها الآن لبحثك قد ولدت أولى موادها منذ اليوم الأول الذى فكرت فيه بالبحث، وظلت تعيش معك، وربما سجلت من موادها شيئا على هذه الجذاذة أو تلك وفى هذه الحاشية أو تلك وفى الدفتر المساعد ...

تتأمل قليلا ، وتكتب مراعيا النظام والهندسة والكرم المناسب بالورق . وتذكر أن المفضل فى المقدّمة أن تكون موجزة لا تزيد المساحة التى تستغرقها على خمس صفحات للكتاب الذى يبلغ ٢٠٠ ـ ٣٠٠ صفحة . وتتضمن ـ فى الغالب ـ ثلاث نقاط رئيسة هى :

١ ـ تحديد الموضوع فى زمانه ومكانه ومادته ، لتجنب نفسك حساب الناقدين فتحول دون أن يشتدوا معك فيما ليس من حقهم مطالبتك فيه .

٢ ـ الخطة ، بأن تتكلم موجزاً على الطريقة التي ستسير عليها معلّلاً اختيارك إياها لتضمن بذلك السير سليماً منذ البداية حتى النهاية ، ولتتقي حساب الناقدين الذين يمكن أن يفرضوا عليك طرائق أعلنت تجنبك إياها وأبنت مزالقها وعيوبها .

٣ ـ أسباب اختيارك للموضوع وخلاصة لطريقك اليه .

ومما يقع فى المقدمة ـ اذا كانت حاجة ـ الاشارة الى من سبقك بالبحث فيما هو من موضوعك أو ذو علاقة به ، وقول كلمة فيه إيجاباً أو سلباً ليعلم القارىء ـ سلفاً ـ سبب اختيارك موضوعاً طُرق من قبل ، وسبب تجنبك ناحية من موضوعك .

ويستحسن أن تبدو متواضعاً ، صادقاً فى تواضعك ، فلا تدّعي أو تتكثر . فالخير ان تشير الى جهدك المبذول تاركاً للقارىء تقديره وتقويمه ، بل يحسن أن تنص على ان جهدك هذا لم يحقق إلاّ قدراً محدوداً راجياً ان تتكفل الأيام المقبلة باستكمال الباقي .

ولا بأس فى أن تثبت فى المقدمة الشكر للذين أعانوك على إنجاز

مهمتك • ومن الناس من يلزم بشكر الاستاذ المشرف •

واذا كانت هذه خطوطاً عامة فى المقدمة ، فان مادتها ستكون خاصة تختلف من بحث إلى بحث ، ومن باحث الى باحث ، كما ان لكل بحث ظروفاً خاصة يمكن ان يشير اليها صاحبها ضمن إطار الايجاز •

وكثيراً ما ترقم صفحات المقدمة بالحروف الأبجدية (أ ، ب ، ج ، د ، هـ •••) مجاراة لتقليد الباحث الغربي اذ يفضل لمقدمته الأرقام الرومانية I, II, III ، وقد يكون من الدوافع الى ذلك كون المقدمة آخر ما يكتب من الكتاب ، ولا يدرى سلفاً ما سيكون عليه عدد صفحاتها •

وتذيل المقدمة عادة بعنوان المؤلف مشفوعاً بالتأريخ •

٢ ـ التمهيد

قبل أن تدخل صميم البحث ، لابد لك من تمهيد فى العصر الذي وقعت فيه أحداث موضوعك تلمّ فيه بثلاث نقاط أساسية هى :

١ ـ الحالة السياسية (ومنها الرقعة الجغرافية والأمور الادارية)

٢ ـ الحالة الاجتماعية (ومنها الاقتصادية •••)

٣ ـ الحالة الثقافية (ومنها الأدبية •••)

وليس الباحث الأدبي فى هذا التمهيد مؤرخاً للعصر ، ولكنه يذكر من هذه النقاط ما له صلة مباشرة بموضوعه مما يسهل على القارىء معرفة الأحداث التى سيمر بها عند البحث ويعده للجو الذى ستجري فيه تلك الأحداث ؛ ويجنب المؤلف أن يقطع سلسلة البحث بوقفات هنا وهناك شارحاً أو موضحاً مما يعكر الصفو ويفكك الوحدة •

وإنك تستطيع فى هذا التمهيد أن تنتفع بثمار المؤرخين المعاصرين لك إذا وثقت من نضجها ـ كلاً أو بعضاً ـ ولابد لك ـ فى هذه الحالة من الاشارة المجملة اليهم •

والمألوف فى حجم التمهيد أن يقرب من نسبة ١/١٠ من مجموع الدراسة المطولة إذا لم يكن العصر قد درس دراسة ناضجة • وتقل هذه النسبة اذا وجدت دراسة أو دراسات موثوق بها يشير إليها المؤلف ويقتصر

من التمهيد على النقاط الخاصة جداً بموضوعه ٠
ان أشد ما يخشى على الباحث أن يضيع فى متاهات التمهيد فيمضى وقتاً طويلا فى دراسة العصر كأن هذا التمهيد غاية فى نفسه ٠ وحينئذ يضيّع جلّ طاقته فيما لم يكن وكده وهمه ولم يكن أول ما يسأل عنه ٠

٣ ـ صميم المادة

اذا كنت قد وزعت بحثك على الأبـواب ٠ فاكتب : البـاب الأول ، ويفضل ان تخصص لذلك صفحة كاملة وتكتبه بحرف ذى حجم كبير ٠
ثم تبدأ صفحة جديدة تكتب فى أسفل ربعها الأعلى : الفصل الأول بحرف كبير ولكنه أصغر من حرف « الباب » ٠ وتكتب تحت الفصل عنوان المادة التى سيحتويها مثل ، حياته ، نشأته ، المديح ، اللغة ٠٠٠ الخ ٠
وتبدأ الفقرة الأولى تاركاً بياضاً قليلا (فى حدود السنتمتر) من أول السطر وتسير بالنقل مع ملاحظة :
١ ـ وضوح الحرف مع ضبط الرسم (الاملاء) ٠
٢ ـ وضع النقاط فى أماكنها تحت الحرف أو فوقه ـ والدقة فى كتابة الهمزة ٠
٣ ـ تضع نقطتين لهاء التأنيث ٠
٤ ـ علامات الترقيم : ، ؛ ٠ : ؟ ! ـ
٥ ـ سلامة النحو ٠
٦ ـ ضبط ما يجب ضبطه من أسماء الأعلام أو ما يحتمل ان يخطىء فيه قارىء متوسط الثقافة من مسائل الاعراب والصرف والاشتقاق ٠
٧ ـ الدقة في استعمال الأقواس بدلالاتها :
« » تحصر بينها ما تقتبسه كاملاً من أخبار وشواهد ٠
( ) لتفسر بما بينهما كلمة سابقة او مدينة او مصطلحا ٠
[ ] لما تضيفه أنت اقامة لنص أو بيت مما يجب أن يضاف ٠
٨ ـ أكتب على وجه واحد من الورقة ٠
٩ ـ أترك سطراً (أو أكثر) بعد كل فقرة ٠

١٠- ليكن الهامش عريضا شيئا ، وليكن الذيل طويلاً شيئا •

١١- ضع أرقام الإحالات واضحة وصغيرة وعلى الزاوية العليا من نهاية القوسين او الزاوية العليا اليمنى للكلمة ـ ان لم تكن أقواس ـ (وهي تساوي الزاوية العليا اليسرى للقارىء •••) •

تكتب هذه الأرقام بلون أحمر (أو أي لون آخر يختلف عن حبر التحرير) اما تسلسلها فيأتي على احدى طريقتين :

الأولى ان تسير بها متسلسلة ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ من أول الفصل حتى نهايته وتكتب في الذيل ما تشير اليه هذه الأرقام من المصادر والشروح •

الثانية ان تحتفظ لكل صفحة بتسلسل خاص باحالاتها ، فقد يكون في الصفحة الواحدة إحالة واحدة وقد تكون اربع إحالات ••• الخ ، حتى اذا بدأت صفحة جديدة بدأت معها أرقاما جديدة ١ ، ٢ ، ٣ •••

ومن فوائد الطريقة الأولى أنك لا تغير الأرقام في المتن والذيل عند تبييض الفصل (أو عند طبعه) ، بتغير ترتيب الصفحات •

ومن فوائد الطريقة الثنية أنك اذا اضطررت لزيادة رقم او إنقاص رقم فانك لا تغير إلا أرقاماً قليلة هي أرقام تلك الصفحة التي حدث فيها تغيير الرقم ، بينما تلزم بتغيير كل أرقام الفصل لو اضطررت الى ذلك في الطريقة الاولى •

اذا انتهيت من تبييض الفصل الأول ، تبدأ صفحة جديدة للفصل الثاني وتكتب في أسفل الربع الأعلى منها : الفصل الثاني ، وتحته عنوان مادته •

وهكذا ••• حتى تصل الباب الثاني فتكتبه بحرف كبير على صفحة خاصة ، وتبدأ فصوله الأول ، الثاني ••• حتى تصل الباب الثالث ـ ان وجد ••• وهكذا •••

اما أرقام صفحات الكتاب فالمفضل أن تبدأ أولى صفحات المقدمة بـ (٥) حاسبا حساب صفحتي الغلاف الداخلي وصفحتي الورقة التي تترك أناقة بعدهما قبل المقدمة ولا يكتب عليها (على وجهها) إلا عنوان البحث ثم

تسير على ان تعطى كل صفحة رقماً حتى لو كتب عليها كلمة واحدة أو تركها بيضاء •

وتكتب الأرقام فى العادة فى أعلى الصفحة (وقد تكتب على يسارها الأعلى أو يمينها) وفى هذه الحالة لا تكتب رقماً للصفحة البيضاء أو ذات الكلمة الواحدة أو التى تحمل عنوانا كالمقدمة والتمهيد والفصل الأول ـ على أن تحتفظ بالرقم لدى التسلسل •

ومن الناس من يكتب الرقم فى هذه الحالة اى فى الحالة التى تبدأ الصفحة بعنوان رئيس ، فى أسفل الصفحة •

ومنهم من يتجنب هذه المزالق بأن يتبنى منذ البداية وضع الأرقام فى أسفل الصفحة (وسطها عادة) •

ولنتذكر أن من المؤلفين من لا يضع أرقاماً لصفحات المقـــدمة وانما يجعلها أ ، ب ، ج ، د •••

٣ ـ مع الاستاذ المشرف

اذا كان الاتفاق على تقديم البحث فصلا فصلا ـ وهو المألوف ـ فانك تقدم هذا الفصل على أتم ما يمكن من الدقة والوضوح • وقد يستمع اليك تقرءه ويصحح ويناقش ، او ان يتولى هو القراءة والدراسة بحضـورك ويصحح ويناقش أو أن يستبقيه عنده مدة مناسبة يدرسه خلالها ويسجل عليه ملاحظاته •

وان تقديمك الفصل على أكمل أشكاله يخدمك كثيراً ؛ ومن تمـام الأدب أنك تصغي الى توجيه أُستاذك ولا تقاطعه عندما يتكلم أو تعلق وانما تحتفظ باتزانك حتى ينتهى من النقطة التى يبحثها فتعلق باللياقة اللازمة •

وتقول : ما عسى أن يعرف هذا الاستاذ المشرف عن موضوع انصرفت له ودرست مصادره وجمعت مادته وناقشتها وانسجمت وإياها ردحا من الزمن ؟؟

ولا يخلو قولك من صواب ؛ ولكنه لا يخلـو كذلك من سذاجة ، لأن الاستاذ الحق يمكن أن يلاحظ ملاحظات قيمة جـــداً بحكم خبرتـه

الطويلة فى الدراسة والتدريس والتأليف والاشراف وبحكم تمكنه من منهج البحث وعلمه بمكان الأهم من الكتاب ، ومكان الأقل أهمية •

وعليك أن تقف منه موقف المؤدب المهذب ، موقف التلميذ من الاستاذ دون أن يأخذك غرور أو يركبك عناد • واذا لحظت عليه شيئاً من تناقض بين المبدأ والمنتهى ، أو سهواً أو ما يشبه ذلك نبهت على ذلك فى لطف وهدوء •

هذا اذا كان استاذاً بمعنى الكلمة ، أمّا إذا كان ـ لسبب وآخر ـ طارئاً على المهنة فعليك أن تدرس موقفك فى حكمة وتقرر ما تراه المناسب فى حدود مستطاعك من النتائج المترتبة •

تأخذ ـ على أى حال ـ الملاحظات بنظر الاعتبار وتصحح وتعدل بموجبها وتعيد كتابة الورقة التى كثر فيها التصحيح •

وهكذا يتوالى تصحيح الفصول •

٤ ـ الخاتمة

لابد لكل بحث علمي من خاتمة ، ويستحسن الا تطول ، والمفضّل فيها الا تزيد على عشر صفحات فى بحث يزيد على ثلثمائة صفحة ؛ لأن طولها يضيع الفائدة التى وجدت من أجلها ، ولأن المادة التى يمكن أن تطيل الخاتمة يحسن بها ان تُرَدَّ إلى أماكنها المناسبة من فصول البحث •

والمعتاد فى الخاتمة :

اولا : أن تتضمن خلاصة لمجموع البحث تثبت فى ذهن القارىء النقاط الأساسية فى مجموع ما قرأه •

والباحثون إزاء هذه الخلاصة على حالين : منهم من يسير فيها كما سار فى بحثه مبتدئا بالفصل الأول ومنتهياً بالأخير قائلا رأينا فى الفصل الأول كذا وعلمنا فى الفصل الثاني كذا ؛ ومنهم من يثبت النقاط الأساسية على منهج جديد يبتدىء بالأهم ثم الأقل أهمية ويسير بشخصية بارزة وقلم سيّال كأنه المنشىء الذى اختمرت فى نفسه تجربة فأراد أن يعرب عنها غير متوقف ولا متعثر ولا متكىء على شىء ، مما اعتاد « المعلمون » الاتكاء عليه

من قولهم : رأينا ، وعلمنا ، ومر معك ، وتتذكر .

ولابد من أن تكون الحال الثانية أرقى لأنها تدل على تمكن الباحث من مادته وانسجامه وإياها ونفوذها فى مسارب نفسه ثم إنها تغيّر الجو على القارىء وتجدد نشاطه وتغريه بالاستمرار على قراءة ما سبق أن قرأه .

وتتضمن الخاتمة ـ زيادة على التلخيص ـ أموراً جديدة من معلومات لم يسبق ذكرها ولم يجد لها الباحث مكانا مناسبا فى فصول الكتاب ؛ ومن آراء جديدة لم يكن من حقه أن يبديها فى غضون بحثه لأنها تعد « شخصية » . أمّا هنا ـ فى الخاتمة ـ فيحق له ذلك ؛ فهى والحالة هذه ـ من الفرص النادرة التى يستطيع أن يتحرر فيها المؤلف (فى حدود بالطبع).

ثانيا : من الباحثين من يضرب عن التلخيص فى الخاتمة فلا يستعيد مادة عرض لها أو رأياً عرضه ، وانما يفجأ القارىء برأى جديد أو بالاستفاضة برأي مرّ ضائعا فى طوايا بحثه كأنه يفتح ذهن القارىء الى أمرٍ خطير انتهت اليه الدراسة ويجدر أن يكون بدءاً لدراسة أخرى ونقاش جديد .

ولهذا النوع من الخاتمات طرافته وقيمته . ولكن يعز على الاساتذة المنهجيين أن تقتصر الخاتمة عليه وحده[1] .

٥ ـ المبيّضة الثانية

أمامك الآن بحثك كاملاً ، منذ المقدمة حتى الخاتمة ماراً بالتمهيد والأبواب والفصول ، وفيه صفحات ـ قد تكون غير قليلة ـ جيدة الكتابة جيدة التقديم ، ولكن فيه صفحات ـ غير قليلة أيضا ـ جرى عليها تعديل وتصحيح وتعليق أو يحسن أن يجري عليها شيء من ذلك كالعناية الخاصة باللغة نصاعة وجمالا ... فماذا تفعل ؟

لابد من أن توفر الانسجام فى الاخراج وان يبدو بحثك كلاً متناسقاً . وقد ترى أن تعيد كتابة ما يحتاج الى إعادة مستفيداً من فرصة أنك تكتب

---

(١) مناسب ان يطلع الطالب على « الكلمات » التى يختم بها الدكتور محمد مهدى البصير فصول كتبه ، فهى نماذج بارعة فى بابها .

على أوراق منفصلة أو دفتر ـ دوسية • ولك ذلك اذا ضمنت تمام التجانس ، وإلا فالأحسن التبييض الكامل المتأني المخرج مخرجاً حسناً •

وتجد فى الأساتذة المدققين من يشترط أن يطّلع على بحثك فى آخر صوره المكتملة خشية أن يكون فاتك شيء أو أنك تهاونت فى شيء ، وأملاً فى اكمال نقص واستدراك فائت واطمئناناً الى صحة العمل • انه لا يريد أن يصدر شيء عنه وباسمه دون ان يكون قد علم كل أسراره ، لأنه ينظر الى بحث الطالب باشرافه نظره الى بحث يؤلفه •

واذا انتهى كل شيء على ما يرام : أذن لك بالطبع • وتكون بذلك قد دخلت مرحلة حاسمة ، وأنك حققت ـ فى الحالات الطبيعية ـ أكثر من ٩٠٪ من درجة النجاح وضمان اللقب العلمي • وان المبيّضة الدقيقة الواضحة الأنيقة تسهل عملية الطبع وتؤدي الى طبع دقيق •

٦ ـ فهرس المصادر والمراجع

رجعت الى مصادر ومراجع كثيرة • وقد خصّصت جذاذات لهـا فيها اسم المؤلف الكامل ومعلومات عنه واسم الكتاب الكامل ومعلومات عنه • وقد جمعت من هذه المصادر والمراجع مادة بحثك وأشرت الى ما أخذت عن كل مصدر فى مكانه موضحاً ذلك بالجزء ـ إن وجد ـ والصفحة • وقلنا لك لا تشفع ذلك التوضيح باسم المطبعة وتاريخ الطبع ومكانه ••• دفعاً للتكرار واقتصاداً بالمساحة والوقت •

كيف يعرف القارىء ـ إذاً ـ هذه المعلومات الضرورية التي تبين قيمة الطبعة ونوعها ومن ثم إمكان العودة الى الجزء والصفحة منها ••• ؟ المسألة على الغاية من البساطة • أن تعمل فى آخر بحثك قائمة تحتوي المصادر والمراجع التى أفدت منها ذاكراً اسم المؤلف واسم الكتاب واسم المطبعة ••• الخ مرتباً ذلك على حروف الهجاء لتسهل المراجعة •

يعمل المؤلفون الغربيون هذا الفهرس على ما اشتهر به المؤلفون ثم

يوضع إزاء كل اسم ، اسم الكتاب ، الطبع ... الخ . وقد تبنى هذه الطريقة العرب الذين بحثوا فى الغرب وعملوا « رسائلهم » هناك . اما الآخرون ، ففيهم من يعمل الفهرست على الحروف الهجائية لأسماء المصادر والمراجع وقد تكون حجتهم فى ذلك أن اسماء الكتب أشهر من أسماء أصحابها ، وان الاشارة الى الكتاب أدل من الاشارة الى المؤلف . تلك حجة قد تكون مقبولة إلا أن توحيد المنهج أولى . وقد يكون السير بترتيب الفهرس على أسماء المؤلفين (او ما اشتهروا به) أفضل ، لأن شهرة المؤلفين لا تقل عن شهرة مؤلفاتهم . ولأن المناسب أن نتبع مصطلحاً عالمياً .

أما الحل الموقت فهو أنك اذا تبنيت الإحالة على المصادر بأسماء الكتب فيجب أن تعمل الفهرس مبوّباً على الحروف الهجائية لأسماء تلك الكتب ، وإذا تبنيت الإحالة بأسماء المؤلفين (او ما اشتهروا به) فيجب ان تعمل الفهرس مبوّباً على الحروف الهجائية لأسماء اولئك المؤلفين (أو ما اشتهروا به من كنية أو لقب ...) .

وفى الفهرس تكتب ما اشتهر به المؤلف ، وتضع بعد خط قصير ، بين قوسين اسمه الكامل ونسبه وتاريخ وفاته . ثم بعد نقطة واحدة (أو نقطتين) تضع اسم الكتاب كاملاً منتهياً بنقطة . ثم اسم المحقق كاملاً (إن وجد) او أسماء المحققين (إن كانوا أكثر من محقق واحد) . ثم فاصلة ثم مكان الطبع ، يليه اسم المطبعة (بين قوسين على الأفضل) ودار النشر ، والسلسلة ورقم الكتاب من السلسلة ـ إن وجدت ـ ثم تاريخ الطبع مختوماً بنقطة . ويكتب الغربيون اسم المؤلف بحروف خاصة واسم الكتاب بحروف خاصة أخرى وكلاهما يتميز عن الحروف المعتادة فى الكلمات الأخرى ، فتكون حروف اسم المؤلف مائلة italic (=italique) وحروف اسم الكتاب كبيرة صغيرة (PETITES CAPITALES)

يلي ذلك المصدر الثانى : اسم المؤلف ... اسم الكتاب .... تاريخ الطبع على سطر جديد ... وهكذا تتوالى المصادر ... ولا موجب للأرقام أى كتابة ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ... قبل كل مصدر .

إذا كان للمؤلف الواحد أكثر من كتاب رجعت إليه ، كتبت إزاء المصدر المهم الذي أكثرت الأخذ منه (من دون نص) أي انك اذا ذكرت المؤلف وذكرت بعده الجزء والصفحة فانك تعني هذا الكتاب من مؤلفاته .

وتتبع ما بين القوسين (اى : من دون نص) المعلومات الأخرى من التحقيق والطبع وما اليهما .

ثم تبدأ على سطر جديد واضعاً خطاً قصيراً تحت الخط القصير الذي وضعته بعد اسم المؤلف فى الكتاب السابق ، وتذكر اسم الكتاب الثانى مع المعلومات اللازمة ، ثم الكتاب الثالث ، والرابع إذا كان للمؤلف كتاب ثالث ورابع .

واذا رجعت الى كتاب واحد فى أكثر من طبعة ، كتبت ، قبل أحسن الطبعات – وهى التى تبنيت الأخذ منها – (من دون نص) ، ومعنى هذا أنك تشير إليها عندما تستشهد وتذكر الجزء والصفحة ، وإلا فانك تنص على الطبعة فى الذيل .

اذا كان الكتاب مجهول المؤلف ، أدرجته فى حرف الميم فى تسلسل « مجهول المؤلف » من أسماء المؤلفين . ولكن اذا كان لديك بين مصادرك أكثر من كتاب مجهول المؤلف فان هذه الطريقة لا تجدى فى الاحالة لذا حسن ان تحيل الى الكتاب نفسه وأن تدرج اسم الكتاب فى سلسلة المصادر كأنه اسم للمؤلِّف .

من الناس من يفصل فى الفهرس بين مؤلفي المصادر (القدامى) ومؤلفي المراجع المحدثين ومنهم من يفصل بين المطبوع والمخطوط ، ولا حاجة الى هذا الفصل لأنه يضيع الفائدة التي وجد من أجلها الفهرس أى تسهيل ربط الاحالة بالجزء والصفحة بمصدرها .

اذا كان المرجع مادة فى دائرة معارف او مقالة فى جريدة أو مجلة ، وضعت اسم كاتب المادة أو المقالة فى تسلسله الطبيعي من حروف الهجاء وكتبت إزاءه المعلومات اللازمة عن الدائرة أو الجريدة أو المجلة ... ومثل ذلك تفعل بالكتاب المتعدد المؤلفين .

واذا كان للمؤلف أكثر من شهرة وضعت أشهر ما عرف به فى

تسلسله الهجائي وإزاءه اسمه الكامل ، واسم الكتاب ... الخ ، حتى إذا بلغت التسلسل الهجائي للشهرة الثانية وضعتها في مكانها ووضعت إزاءها بعد الخط - ينظر . وأحلت على الشهرة الغالبة .

لفهرس المصادر والمراجع أهمية لا تنكر ، ولا غرو أن كان النظر اليه أحد الأدلة على قيمة الكتاب المؤلَّف . ويبدو أن هذه الاهمية دفعت بنا في السنوات الأخيرة الى العمل - بكل وسيلة - الى إطالة هذا الفهرس كأننا نحقق لأنفسنا بذلك إحدى المفاخر . وكثيرا ما نكون مخطئين في ظننا هذا إذ يجرنا الى أن نحشر في الفهرس كل كتاب حتى ما كان تافها ، أو ما لم نرجع اليه إلاّ مرة واحدة عابرة أو - وهذا واقع أيضاً - ما لم نرجع اليه أصلا ولم يكن ذا صلة بكتابنا .

الفصل التاسع

من الطبع الى المطبعة

١ ـ الطبع على الآلة الكاتبة

لا يشترط فى البحث الصفي أن يطبع ، وإن كان المناسب أن يحقق الطالب ـ إن أمكنه ـ هذا الشرط ليفيد من التجربة ولتؤدي محاولته الغرض الذى أقيمت لأجله .

أما البحوث التى تعقد لدرجة علمية عالية فيشترط فيها الطبع . ويأتي الطبع وعدد النسخ المطبوعة على أنواع حسب مصطلح الجامعة التى يعمل فيها الطالب . ومن الجامعات ما تشترط ـ أو كانت تشترط ـ أن يطبع البحث (الرسالة) كما يطبع أى كتاب فى المطابع . وقد تطلب خمسين نسخة أو أكثر وقد تبلغ المائة والمائتين . ويتناسب هذا العدد مع مجموع النسخ اللازمة للمناقشة زائداً مايقتضيه ما بين هذه الجامعة والجامعات الأخرى من قواعد المبادلة بالرسائل . ومنها ما تكتفي بعدد محدود خمس نسخ أو ست نسخ مضروبة على الآلة الكاتبة أو مسحوبة على الرونيو ... وقد عدلت بعض الجامعات الى هذا النهج بسبب ما يكلف الطبع الطلبة من مال لا يستطيعون النهوض به . علماً أن الطبع على الآلة الكاتبة قد يكلف الطالب

ما لا قبل له به ، ولهذا فان الحكومة تتكلف الدفع عنه اذا كان طالب بعثة ، او اذا كانت الجامعة فى أول إنشائها الدرجات العلمية فتسعى الى تشجيع المتقدمين إليها •

وقد يكون مناسباً لطالب البحث العالى أن يشترى آلة كاتبة ويتعلم الضرب عليها لأن ذلك يوفر عليه المال أولا ، ويهيىء لبحثه الاخراج العلمي الأنيق ثانيا ـ ولا يستغنى عنها فى المستقبل •

وكما تشترط الجامعات الطبع ، قد تضع شروطاً خاصة بطول الورق المستعمل وعرضه ، والتجليد والغلاف الخارجي والداخلى وما يكتب عليهما والحرف المستعمل فى هذه الكتابة : عنوان البحث • رسالة قدمها فلان لنيل الدرجة العلمية الفلانية • اسم الكلية والجامعة ، مكانها • التأريخ • وربما اشترطت ذكر اسم الاستاذ المشرف ••• ومناسب أن تشترط •

لابد لك من الدقة فى الطبع ومن قراءة الصفحة المطبوعة أكثر من مرة ليمكن تصحيح الخطأ على أكمل وجه • ويستحسن هنا ان يشرك الطالب شخصاً آخر فى القراءة والتصحيح لأنه مهما يكن عارفاً بالرسالة واعياً لأجزائها ، تفته أشياء ، والمؤلف لا يقرأ كتابه بعينه قدر ما يقرءه بذهنه ، ولا يتبع شكل الحروف قدر ما يتبع الفكرة •

وليعلم الطالب أنه يُحاسَب على كل خطأ ، حتى الخطأ المطبعي أو ما يظن إمكان إرجاعه الى الخطأ المطبعي •

والنسخة المطبوعة أول ما يواجه به الطالب مناقشيه ، وهي النافذة التى يطل منها المناقشون عليه فدقتها تعني لديهم دقته وصحتها صحته •

(٢) الفهارس

شرط فى الدراسة العلمية أن يلحق بها عدد من الفهارس المناسبة لمادة البحث لتدل على المقدرة التنظيمية لدى الباحث والصبر على ايفاء كل جزء من أجزاء المنهج ولتسهل على المراجع الوصول الى مراده عن أقصر طريق وأيسر وقت • ولا شك فى أنك الآن تدرك قيمة هذه الفهارس لأنك أفدت منها واستعنت بها وأغنتك عن أن تبذل الجهد فى قراءة المصدر كله •

ان هذا الذى يبدو ثانوياً لدى بعض الناس لهو ذو قيمة كبيرة عرفها الغرب وأحلّها مكانة لائقة من المنهج •

ولا يوجد بحث علمي من غير فهارس •

والفهارس أنواع ، ولا يشترط أن تتوافر الأنواع كلها فى أي بحث ، وانما يشترط أن يتوافر منها فى البحث ما هو فيه ومن طبيعته ، وقد يكون فى بحث من الفهارس ما لا يكون فى الآخر ، وقد يكون فى الآخر ما لا يكون فى غيره ، وقد يكون فى بحث فهرس واحد او فهرسان ويكون فى بحث ثلاثة أو أربعة أو أكثر •

ويمكن أن نعدد من انواع هذه الفهارس ما يأتى :

١ ـ فهرس الأعلام (للاشخاص)
٢ ـ فهرس القبائل
٣ ـ فهرس الملل والنحل (المذاهب والطوائف ••)
٤ ـ فهرس الأماكن (البلدان ، الجبال ، الأنهار •••)
٥ ـ فهرس الآيات
٦ ـ فهرس الأحاديث
٧ ـ فهرس الأمثال
٨ ـ فهرس القوافى (الأبيات ••• الأشطر ••• البحور)
٩ ـ فهرس الكتب الواردة
١٠ـ فهرس المصطلحات الفنية (او الالفاظ الحضارية)
١١ـ فهرس المفردات اللغوية
١٢ـ فهرس الأحداث ••• والسنين
١٣ـ فهرس الصور (والخوارط)
١٤ـ فهرس المصادر والمراجع
١٥ـ فهرس المحتويات أو الموضوعات ، وهذا وحده المعروف سابقاً عندما يقال : الفهرس او الفهرست ، ولكننا احتجنا الى هذه الكلمة (المحتويات) أو (الموضوعات) بعد أن تعددت فهارس الكتاب وقد

ترجمناها عن table of contents (=table des matières)[1] ،
ومن الباحثين من يضع هذا الفهرس فى أول الكتاب (بعد المقدمة) ،
ومنهم من يجعله تفصيليا analytical (=analytique)
أو انه يضمن كتابه فهرسين : موجزاً وتفصيلياً •

تأخذ لبحثك ما يمكن أن يكون فيه من هذه الأنواع ، وقد تبعثك طبيعته الخاصة على نوع غير موجود بينها ، وقد تبعثك على أن تجمع أكثر من نوع فى فهرس واحد اذا كانت المادة المتيسرة لكل نوع قليلة ، فتجمع فى هذه الحالة - مثلا - مع الأعلام القبائل (وحتى الملل ••• والأماكن أحيانا) •

تعمل هذه الفهارس بعد أن تنتهي من طبع آخر صفحة فى كتابك ، وسبب تأخيرها أنك ملزم بأن تضع إزاء كل كلمة منها رقم الصفحة أو الصفحات التى وردت فيها ، ولا تثبت أرقام الصفحات إلا بعد الطبع •

ولابد من أن تلاحظ وأنت فى مرحلة الفهرسة ما يأتي :

١ - توالى مواد الفهرس (عدا فهرس المحتويات - طبعا) على تسلسل الحروف الهجائية • واذا اشتركت اكثر من مادة فى الحرف الأول ، اخذنا الحرف الثانى ، أو الثالث ••• الخ أساساً للتقديم •

٢ - يستحسن ان تقسم الصفحات التى تحتوي على المواد ذات الكلمة الواحدة (مثل الأعلام •••) الى عمودين اقتصاداً بالورق وتحسينا للمنظر وتسهيلا للمراجعة •

٣ - من المؤلفين من لا يدخل فى الفهارس إلا مواد المتن ، مهملا بذلك ما يرد فى الذيل من أعلام ومواد أخرى ؛ وحجته فى ذلك أن المتن هو المهم ، وما شغل مراجع بالحواشي (فى الذيل) ؟

ومنهم من يعامل مواد الحواشي معاملة مواد المتن لأنه يرى ان مادة الحواشي متصلة بمادة المتن ، وان المراجع تهمه الحواشي كما يهمه المتن •

والمنهج الثاني أولى وأجدى ، وتتم الفائدة منه بأن يميز المؤلف بين

---

(١) اذا اختصر الانكليز - وكثيرا ما يختصرون - قالوا : Contents ؛ واذا اختصر الفرنسيون قالوا : table ، ولا يكون اختصارهم هذا فى كتب البحث العلمي عادة •

مادة المتن ومادة الحواشي وذلك بأن يضع الحرف هـ• قبل رقم مادة الحواشي ، وتعني هـ : الهامش • ويفضل – الى ذلك – أن يؤخر أرقام مادة الحواشي فلا يسجلها اِلاّ بعد أن تنتهى أرقام المتن من تلك المادة • ومنهم من يكتب الأرقام التى تدل على مواد الحواشي بحجم صغير تمييزاً لها من مادة المتن •

٤ – يذكر بعضهم الى جوار رقم الصفحة ، رقم السطر من الصفحة • وهذا نافع مع ما يدل عليه من مبالغة فى الفهرسة •

٥ – اذا كان الكتاب – خارج العمل للدرجة العلمية عادة – مؤلفا من عدة أجزاء فقد يعمل المؤلفون (أو المحققون والناشرون) فهارس خاصة بكل جزء • وفى هذا بعض النفع لاسيما اذا كانت الأجزاء كثيرة ويستغرق اِصدار الجزء الواحد مدة طويلة •

ويرى آخرون – وهم على صواب – أن فى فهرسة كل جزء ضياع للوقت والورق والمال ، وانك ستضطر أن تكرر أكثر المواد فى كل جزء • ويكتفى هؤلاء بعمل فهارس عامة لكل الأجزاء يثبتونها فى الصفحات الأخيرة من الجزء الأخير • وهم يميزون الرقم الوارد فى جزء عنه فى الجزء الآخر كأن يبدأوا أرقام كل جزء فى سطر خاص (بعد ان يكتبوا رقم الجزء بالطبع) أو أن يكتبوا رقم الجزء بحرف أكبر من المعتاد تليه أرقام الصفحات **١** : ٥٠ ، ٥٣ ؛ **٣** : ٤١ ، ٩٢ ، ٩٥ ؛ **٦** : ١٥ •

٦ – يختص البحث عادة بموضوع واحد ، وهذا يعني أن اسم الموضوع (علماً كان أو مصطلحاً •••) يتكرر كثيراً ، واذاً فلا داعى لوضع ذلك العلم أو تلك المادة فى الفهرس وشحن صفحات كاملة بالأرقام •

على المراجع الذى يهمه هذا الموضوع ان يقرأ البحث كله لأن بغيته منبثة على الصفحات كلها •

ويمكنك كذلك أن تستثنى المواد التي يكثر تردادها من درجها فى الفهرس • على أن تشير الى ذلك ، وكذلك تفعل فى الاِخبار عن أية مادة لا تثبتها •

٧ – تستعمل فى الفهرسة رموزاً للجزء والصفحة وما الى ذلك •

٨ ـ الفهرسة عمل منهجي مهم وهى أحد أدلـــة العمـل العلمي والاخلاص لبلوغ الكمال فيه خدمة للبحث وللقراء • وقد عرف الغرب قدرها فأحلها المكان اللائق من العناية ، فبذل الجهد وضحى بالورق والمال لأجلها • ومن شروط العنايـة : الدقة فى العمـــل • وتعنى الدقـة أنك لا تستهين بالأمر فتحذف حيناً وتختصر حيناً • انك بعملك هذا تجنى على البحث والحقيقة والمراجعين • وان إهمال الفهرسة فى هذه الحالة خير من مظهرها المزيف المضلل •

وقد كان الناشرون العرب يستهينون بالفهرسة ويعدونها خســـارة بالورق فصدرت كتب مهمة خالية منها ثم أحسوا أخيراً بفائدتها ورأوا أنها تمنح الكتاب طابعاً من العلم والجد يهيء ربحاً أكثر اذ يجتذب عدداً أكبر من القراء • ولكن هؤلاء الناشرين بين اثنين : أمين يخلص فى عمله يشبه فى ذلك الغربيين ؛ وتاجر يبغى الكسب بأى وجه يعمل فهرساً ناقصا يحقق له المظهر فقط ولا يهمه ما يجنى عمله على الحقيقة والبحث •

علينا أن ندرك أهمية الفهرسة ونكون دقيقين مخلصين ، ومن سمات الدقة والاخلاص أن تقوم أنت نفسك بعمل الفهرس لأنك ان اعتمدت غيرك اختلط عليه الأمر فأضاع كثيراً من المادة ـ بحسن نية ـ لأنه غريب عن عناصر البحث ودقائقه ـ ليس عمل الفهرس سخرة •

٣ ـ فهرس أعلام الاشخاص

هي مادة مهمة فى الفهرسة ، وكثيراً ما يذهب الظن اليها وحدهـــا عندما يقال : فهرس index .

ويقال فيها كل ما قيل عن الفهارس ، ولكنها تستدعى خصوصاً بعد ذلك العموم ، لتشعب حالها وتعدد صورها وكثرة التجارب فيها • ومن هذا الخصوص ما يأتي :

١ ـ اذا ورد علم واحد فى أكثر من صورة : اسم ، لقب ، كنية ، فلك معه سبيلان :

الأول : أن تثبت كل صورة فى مكانها من التسلسل الهجائي وتضع إزاءها أرقام الصفحات التى وردت عليها مع الاحالة ـ عند انتهاء الأرقام ـ

على الصور الأخرى • فاذا كان العلم ابو الطيب أحمد المتنبى ورد ذكره فى البحث حيناً أبو الطيب وحيناً أحمد وحيناً المتنبي وضعت كلمة « أبو الطيب » فى تسلسلها الهجائي ووضعت إزاءها الأرقام التى وردت فيها ثم قلت : ينظر أحمد ، المتنبي ، وكذلك تفعل عند ذكر أحمد ، والمتنبي :

أبو الطيب ـ ١٠ ، ٢١ ، ٩٥ ، ١٠٧ • ينظر أحمد ، المتنبي •

أحمد ـ ٨ ، ٢١ • ينظر أبو الطيب ، المتنبي •

المتنبي ـ ١٠ ، ٩٣ ، ١١٥ ، ١٢٠ • ينظر أبو الطيب ، أحمد •

ومثل ذلك قل فى الأعلام الأخرى مثل أبى عبادة الوليد البحترى ، وأبي تمام حبيب بن أوس الطائي ••• الخ •

الثاني : ان تجمع الصور الثلاث مع ارقامها تحت أشهر الصور ثم تحيل على هذه الصورة عندما يرد مكان الصور الأخرى من التسلسل الهجائي فتقول :

أبو الطيب = المتنبي •

أحمد = المتنبي •

المتنبي ـ ١٠ ، ٩٣ ، ١١٥ ، ١٢٠ ؛ أبو الطيب ـ ١٠ ، ٢١ ، ٩٥ ، ١٠٧ ؛ أحمد ـ ٨ ، ٢١ •

وقد تجد من يجمع كل هذه الأرقام إزاء المتنبي حسب ورودها على الصفحات ، فيقول :

المتنبي ـ ٨ ، ١٠ ، ١٠ ، ٢١ ، ٢١ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١١٥ ، ١٢٠ •

وقد يكتب إزاء المتنبي بين قوسين (أبو الطيب أحمد •••) •

واذا جاءت صورة « أبي الطيب » أو « أحمد » من تسلسلها الهجائي أحال الى « المتنبي » •

٢ ـ اذا ورد اسم فى كتاب على صورته الأقل شهرة فيحسن بالمؤلف (أو المحقق) اذ يثبت أرقام الصفحات التى ورد عليها ذلك العلم إزاء اسمه من التسلسل الهجائي ، أن يثبت الصورة الأشهر فى مكانها من التسلسل الهجائي مع الإحالة على الصورة الأخرى •

فلو ورد ابراهيم بن هلال قلت ابراهيم بن هلال ـ ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣١ •

حتى اذا بلغت حرف الصاد قلت :

الصابي = ابراهيم بن هلال •

ومثل ذلك لو كان علي بن محمد ، قلت :

علي بن محمد - ١١ ، ١٧ ، ١٢٥ •

الحريري = علي بن محمد •

٣ - ابن وأبو وابنة وبنت تحسب اذا جاءت فى أول الصورة مثل : ابن الأثير ، ابن الجوزي ، ابن خلدون ؛ ابنة الخس ؛ أبو بكر ، أبو تمام ، أبو حيان ••• توضع فى تسلسلها الطبيعي من حروف الهجاء ويتم التوالي فيها على حروف الكلمة التي تلي « ابن » أو « ابنة » أو « أبو » •

٤ - تسقط ابن أو ابنة او أبو إذا جاءت بين علمين ويتم التوالي على حروف العلم الذي يأتي بعدها •

٥ - تسقط « ال » من الحساب على اي حال •

٦ - إذا اتحد اسمان أو أكثر فى الصورة ينظر الى حروف أسماء الآباء••

٧ - يختلف في بعض الأعلام لفظها عن رسمها مثل : طه ، طاها ؛ عبدالرحمن ، عبدالرحمان ؛ هرون ، هارون ؛ اسحق ، إسحاق • ويفضل فى هذه الحالة اتباع الرسم فى التسلسل الهجائي • فاذا كان العلم مما يلازم حالة واحدة مثل « طه » لزم اتباع الرسم دون نقاش ، اما فى الأعلام التي يمكن أن ترد على أكثر من صورة فيلزم اتباع الصورة التي يلتزمهـا الكتاب فتوضع أرقام الصفحات ازاءها • ويفضل ان تذكر الصورة الاخرى فى مكانها من التسلسل الهجائى ويحال ازاها الى الصورة المتبناة (أو الأشهر) •

٨ - « عبدالله » يعد حالة خاصة ، والمألوف فيه الا تحسب الألف واللام عند التسلسل الهجائي ويحاسب على اساس ع ، ب ، د ، ل ، وعلى هذا يأتي بعد عبدالرحيم وعبدالكريم وقبل عبدالمطلب وعبدالملك •

وقد تجد من يعد الألف واللام أصلية - وفى هذه الحالة يجب إثبات عبدالله (بإسقاط الألف واللام) فى تسلسلها الهجائي والإحالة إزاءها على عبدالله التي عدت فيها الألف واللام أصلية •

٩ - العلم الذي يستأثر بفصل من الكتاب أو يكثر التحدث عنه في

صفحات متوالية فإن النص على هذه الصفحات من الفهرس يتم بأن نحصرها بين رقمين هما الرقم الأول الذي يبدأ به الفصل أو الصفحات المتوالية والرقم الذي ينتهي به الفصل ، كأن تقول : المتنبي — ٧٠ — ٩٥ • ومن الباحثين من يقدم هذين الرقمين على الارقام المتناثرة ، ومنهم من يضعها في تسلسلها الطبيعي — وهو الأحسن •

والمناسب ان يكتب الرقمان — على أي حال — بشكل بارز مميز عن الارقام الاخرى لتذهب العين إليه سريعاً •

ملاحظة خاصة بفهرس القوافي

قال الاستاذ عبدالسلام هارون فى كتابه « تحقيق النصوص ونشرها » عن فهرس الشعر ، ص٩١ :

« أقل صورة لترتيبه أن يرتب على القوافي من الهمزة الى الياء ثم الألف اللينة في آخرها ، ثم ترتَّب كل قافية على أربعة أقسام : الساكنة ، ثم المفتوحة ، ثم المضمومة ، ثم المكسورة ، ويضاف آخر كل قسم من هذه الأقسام ما يمكن أن يختم بالهاء بالساكنة ثم المضمومة ثم المفتوحة ثم المكسورة •

أما أنا ••• فأجعل ترتيب كل مجموعة من القوافى على النسق التالى : فَعْلُ ، — مُفَعَّلُ — فَعَلُ — فاعل — فعال وأفعال — فعول وفعيل مثل : أهل — المعوّل — سُبُلُ — عــواذل — الخيل وأمثال — تقـول وسليل » •

٤ — المناقشة

تنتهي من الطبع وتكمل الفهارس اللازمة في دقة وإخلاص وتعمل كل ما تشترطه الجامعة من الأمور الشكلية بما فى ذلك التجليد • واذا كنت محباً للكمال ولا تريد أن تقابل الآخرين إلا وأنت على خير ما يكون ، قرأت رسالتك مرة أخيرة لتستدرك ما يمكن أن يكون قد فاتك أو خفي عليك • واذا كان استاذك دقيقا شديدا طلب اليك أن يطلع على الرسالة ليمتحن سلامة المنهج (وسلامة المادة) وهي فى آخر صورها حتى إذا ارتضاها — والمعقول أن يرتضيها — أذِن لك في تقديمها الى الجامعة (الى الدائرة

المختصة والموظف المختص ليهيء الخطوات الأخرى) ، فتكون رسالتك بذلك مطروحة déposée (وقد قلنا مرة أن تسمية الرسالة بالأطروحة ربما جاء من هذه المرحلة) •

وتعين الجامعة أسماء الاساتذة المناقشين ممن يشترط فيهم التخصص والقرب من مادة الرسالة وربما استدعى ذلك أن تدعو استاذاً من جامعة أخرى أو من بلد آخر أحيانا كما تعين موعد المناقشة وتتولى الاعلان عنها في الوقت المناسب في لوحة الاعلانات وفي بعض الجرائد اليومية • لأن المناقشة في كثير من الجامعات علنية عامة •

والمألوف أن يكون عدد المناقشين في رسالة الماجستير او دكتوراه الجامعة ثلاثة بينهم الاستاذ المشرف ، وعددهم في رسالة الدكتوراه خمسة بينهم الاستاذ المشرف • وقد توصل الجامعة نفسها الرسالة الى المناقشين وقد تطلب الى الطالب نفسه ايصالها إليهم •

إذا أزف الموعد وانتظمت الجلسة أُذن للطالب بأن يلقي كلمته مبيناً سير عمله منذ البداية حتى النهاية مؤكداً ما حققه فيه وما وصل اليه من نتائج ايجابية وما يمكن أن يكون جديداً في بابه ـ ويشترط في هذه الكلمة الايجاز والوضوح والرصانة مع حسن الإلقاء •

ثم تبدأ المناقشة وكل مناقش يبدي ـ في دوره ـ ملاحظاته • وقد يشتد مع الطالب ويسفه آراءه ويسخر من فهمه ، وقد يثني عليه ويقدر جهده ، وقد يبين المحاسن والمساوىء ، وكثيراً ما تتحكم بالاساتذة المناقشين أمزجتهم الخاصة بين الحدة واللين • وأسوأ ما يحدث أحياناً أن يخرج أستاذ عن طوره وان يعرب عن تعصب خاص خارج دائرة العلم كأن يدافع بغير حق لسبب شخصي وقد يهاجم بغير حق لسبب شخصي ايضا •

واللائق باللجنة ان تكون مثالاً للروح العلمي وأنموذجاً للباحثين عن الحقيقة •

وقد تطول المناقشة ساعات ، وقد تعطى خلال هذه الساعات فترة استراحة وتصبح هذه الفترة لازمة في فرنسا عندما تكون المناقشة لدكتوراه الدولة لأن الطالب فيها « يدافع » عن رسالتين في موعد واحد •

وإذ تنتهى المناقشة تجتمع اللجنة لتقدير الدرجة (مقبول ، جيد ، جيد جدا ، ممتاز •••) وقد يطول اجتماعها اذا كانت وجهات النظر مختلفة (او كان بين الاعضاء تراث وأغراض خاصة) •

ومن الجامعات ما تعلن النتيجة بعد هذا الاجتماع مباشرة كما فى فرنسا ، ومنها ما تؤجله أياما •

والمألوف فى النظام الفرنسي أن الطالب يكون بحكم الحاصل على الدرجة العلمية التي تقدم اليها منذ أن يأذن له استاذه المشرف بالطبع ومنذ أن « يطرح » النسخ المطبوعة فى الجامعة ، ولم يبق له الا تعيين الدرجة ، ويتم ذلك على يد اللجنة • ولكنه لا يحمل اللقب من دون هذه المناقشة • ومن النادر جداً جداً أن « يرسب » طالب فى المناقشة ، وفى رأس عوامل « الرسوب » هذه اكتشاف سرقة او فساد ذمة خفيت حينا •

من الجامعات ما تستغني عن المناقشة بارسالها نسخ الرسالة الى الأساتذة فيدرسونها ويبعثون بخلاصة رأيهم الى الجامعة ، فاذا اجتمعت هذه الخلاصات لدى الجامعة بلّغت الطالب النتيجة ـ وقد عرفت بهذا الجامعات الانكليزية •

هذا هو الشأن الغالب في مناقشة الرسائل •

ويجب أن يلقى البحث الصفى حظه من العناية من الدراسة والنقاش : فبعد أن تنتهي من بحثك تقدمه الى الأستاذ فيدرسه معلقاً على الهامش ما يراه مناسباً فى الايجاب والسلب ، ولا تتم الفائدة من البحث إلا باعادة البحث الى الطالب وتوضيح هذه الملاحظات والمناقشة فيها • وبقدر ما يفترض فى ان يكون الأستاذ قاصداً الى التوجيه والارشاد والنفع بالتجارب ، بعيداً عن اتخاذ ملاحظاته وسيلة للانتقام او التبجح ، غير مبالغ فى القسوة ؛ يفترض فى الطالب أن يكون مؤدبا واعيا ساعياً فى التعلم ، لا يفكر بالدرجة تفكيره بالاستفادة فى تحسين بحثه وفى اتخاذ الملاحظات أساساً يعتمده فى بحوثه المقبلة •

وقد « يحتد » أستاذ صادقاً أو ممثلا لغرض في نفسه ، وقد يؤاخذ الطالب بأشياء كان قد اقترحها هو على الطالب ، أو بأشياء استشاره فيها الطالب من قبل ، أو بأشياء أخرى لم يكن قد تطرّق اليها بوجه من

الوجوه • وهذا ما يمكن أن يحدث وهو لا يخالف طبيعة الأشياء كثيرا ـ والأساتذة بشر ، فيهم الهادىء الرصين الرءوف ـ وهو المنتظر ، وقد يكون فيهم من لم يكن كذلك • ومن خير الطالب ، فى كل حال ، أن يحتفظ باتزانه ويلتزم حسن التصرف ويصل إلى هدنه بلباقة • ولا يضيره ذلك ولا يجور على حقه ، وانما يزيده مكانة لدى السامعين ولدى الاستاذ نفسه •

قد تكون مناقشة البحث الصفى خاصة بين الأستاذ وطالبه ، وقد تكون عامة أمام طلبة الصف • والحالة الثانية أحسن وأنفع ، لأنها تعوّد الطالب النقاش والدفاع العلني ، وتعوّد الطلبة الآخرين كذلك ، وتخدمهم بمادتها وآرائها ومنهجها •

ولا جدوى من بحث لم يقرأه الأستاذ ويصلح من شأنه مادة ومنهجاً ، ويبلّغ الطالب نتيجة القراءة ويناقشه علنا • ولا بأس فى إشراك الطلبة بأطراف من المناقشة نفسها •

٥ ـ الطبع والنشر

اذا انتهيت من مناقشة البحث الصفي عدت اليه تصلح من شأنه فى ضوء هذه المناقشة مدّخراً ما أعقب من فوائد للتقدم فى بحوث تالية •

اما اذا انتهت مناقشة الماجستير أو الدكتوراه ـ وما اليهما ـ فانك تعيد النظر فى الأماكن التى نبهك المناقشون على ضعفها وتبدأ تفكر بطبع الرسالة • ولابد من الطبع للاستفادة من الجهد الذى بذلته وتجنباً من أن أن يعيد الجهد نفسه باحثون آخرون •

ولك أن تسعى الى الطبع بالوسائل التى تملكها حتى لو استدعى ذلك تضحية بالمال • أمّا إذا تهيأت لك جهات رسمية أو غير رسمية تساعدك مالياً على الطبع فيصبح العذر فى التأخير غير مقبول •

من الناس من يرى ـ أو يشترط ـ نشر الرسالة كما هى أى كما قدمت الى المناقشة بأبوابها وفصولها ومادتها وأفكارها • ومنهم من يرى ـ أو يشترط ـ إجراء التعديل اللازم بمقتضى المناقشة وما انجلت عنه من تنبيه وتصحيح واقتراح • ومنهم من يسمح لنفسه بأكثر من هذا ، فيزيد وينقص حسب ما يراه مناسباً للنشر ، فربما جدّ له جديد ، وربما كان قد

اضطر ـ فى أثناء التأليف ـ الى حذف فصل ، وتقديم فصل أو حذف رأي وزيادة رأي لسبب من الأسباب التى تمليها طبيعة المرحلة فى الإشراف والمناقشة ••• أو ضيق الوقت ، وقد زالت الأسباب وهو يريد أن يواجه الناس كما يريد لنفسه هو لا كما يريد الآخرون • وهذا ممكن ، ولعله الأصوب اذا اقترن بالإشارة الى الزيادة والنقصان فى المقدمة ولدى الهوامش المناسبة •

اذا تهيأت لك دار تتولى الطبع والنشر لقاء شروط ترتضيها ففى ذلك الخير وما يوفر جهداً ، وإلا أخذت المسألة على عاتقك •

تتخير المطبعة المعروفة بدقتها وأمانتها وضبطها للمواعيد والشروط ، وتتفق معها على الأجور على أساس الملزمة ـ والملزمة ست عشرة صفحة ـ ومدة الطبع وعدد الملازم فى الأسبوع وعدد « التصحيحات » ـ وتقدم للمطبعة نسخة من كتابك على ماتحب ان يخرج عليه فى الناس من النظام والأناقة •

تبدأ المطبعة ، وتقدم لك الملزمة أو الملازم المتفق على عددها لتصححها التصحيح الأول مثبتا ذلك على الحواشي بما هو مصطلح عليه فى هذا الباب كأن تضع الكلمة الخطأ داخل دائرة وتخرج منها سهماً الى الحاشية تكتب عند رأسه الكلمة الصحيحة • واذا أردت حذف كلمة أو سطر وضعت ذلك داخل « دائرة » وأخرجت منها سهما ثم وضعت نقاطا عند نهاية السهم ••• واذا كان الطبع بالحروف أخرجت السهم من الحرف الخطأ أو الزائد •••

اذا انتهيت من التصحيح الأول حسن ـ ووجب ـ أن تستعين بمصحح ثان تجنباً لما من شأنه أن يفوت أمثالك من المؤلفين • لأنك تقرأ ـ كما رأينا ـ الفكرة أكثر مما تقرأ الحرف • أما القارىء الثاني فينظر الى الحروف أولاً • ولا بأس فى أن يكون هذا القارىء الثاني بعيداً عن الثقافة بالمادة الخاصة لكي يجمع جهوده للمقابلة وبيان الخطأ ـ المهم أن يتناول تصحيح الملزمة الواحدة أكثر من مصحح •

وتعيد الملزمة أو الملازم المصححة الى المطبعة فتجرى المطبعة اللازم لتصحيح ثان أو ثالث •

والمشهور من أنواع الطبع :

١ - الطبع بالحروف • ومن محاسنه إمكان الشكل التـام وإمكان اختيار الحرف الأجمل ، وإمكان الدقة فى التصحيح لأن عامل المطبعة فيه يصحح الحرف الخطأ فقط دون تعرض للحروف والكلمات الأخرى •

٢ - الطبع على اللاينوتايب • وهذا يوفر السرعة والنظام المتصل (لأن من عيوب الطبع بالحروف ان الحروف تتآكل وتتثلم مع الزمن) • ولكن الطبع فيه يتم على أساس السطر ، ومعنى هذا أنك حين تجد خطأ فى حرف واحد ، أو فى كلمة واحدة فان عامل المطبعة سيرفع السطر كلـه ويطبع سطراً جديداً وهو فى هذا إذ يصحح لك الخطأ المشار إليه قـد يقع فى خطأ جديد فى حرف أو كلمة من حروف السطر وكلماته • ومعنى هذا أن يبقى كتابك عرضة لخطأ جديد حتى بعد التصحيح الثالث •

والاختراع متصل لتحسين الطباعة بسرعة ودقة •••

وتجمع الملازم بعضها الى بعض ويُطبع الغـلاف ، ويجلّد البحث ويصبح كتابا ، وعليك أن تجد له موزعاً تدفع له النسبة المألوفة للتوزيع • ويحسن أن تعلن عنه في جريدة ، ويحسن أن تهدي منه نسخاً الى الصحف والمجلات والى الذين يهمهم الموضوع من الناقدين والدارسين لترى وجهات نظرهم ، ولتناقشهم إن وجدت دافعاً - ولابد من ضبط الأعصاب إزاء ما تقرأ عن كتابك أحيانا من سخف أو جهل أو غرض شخصي لأن الباحث الحق أعلى من أن ينحط الى معاملة الجهل بالجهل ومقابلة الشتم بالشتم • إن عُدّته الحقيقة ، والحقيقة لا تضيع ، وان ضاعت فالى حين •

وتجمع ما يجد لك بعد الطبع من مادة أو رأي لتفيد منه فى الطبعة الثانية • ويصعب أن يمر زمن على بحث دون أن يستدعى إعادة النظر • ومن الناس من يكرر الطبعات دون أى تغيير وليس الأمر - وإن أصبح مطّردا - طبيعياً • اما من يعتذر عن التنقيح والتعديل بضيق الوقت فانه يخرج عن عالم البحث الأنموذجي •

ان البحث جزء لا يتجزأ من حياة صاحبه ، تبقى صلته به ما بقي وإلا فما هو بالباحث •

الخاتمة

هذه نقاط أساسية فى منهج البحث ، وهى ليست كل شىء ؛ فقد تقل ، أى أنك لا تكون ملزماً بها كلها فى كل بحث ، وانما تأخذ منها الضروري الذى يتطلبه موقفك ، وتترك الباقي لغيرك أو لحالات أخرى • وقد تكثر ، لأن هناك أموراً تنبثق من طبيعة كل بحث ، وأموراً تدخل فى الجزئيات • وما على الطالب إلاّ أن يكون من سَعة الأفق والمقدرة على التصرف بحيث يتخذ الموقف المناسب لكل قضية • ولا بأس فى أن يسأل أو يستشير غيره إذا استعصت عليه حالة من هذه الحالات •

المنهج مهمٌ جداً ، ولكنه لا يكوّن الباحث • انه يوجه ويوطد الإمكانات • وقد يلتزم المنهجَ طالب لا قابلية له على البحث ، فما يجديه ذلك كثيراً ، لأن المسألة ليست مسألة المنهج وحده ، وانما هى ما وراء المنهج من شخصية فى التصرف • ومن هنا كان باحث ذو أصالة وأسلوب ، وباحث كبير يختلف عن باحث كبير (حتى فى الموضوع الواحد) ؛ وكان باحث ليس له من البحث إلاّ المنهج ، أي القشر والمظهر والضجيج ، كأن المسألة منفصلة ، فهناك بحث وهناك منهج ــ وهذا غير صحيح ، لأن المطلوب هو الجمع ــ بل الوحدة ــ بين الاثنين ، ولا يتهيأ ذلك لكل طالب •

منهج البحث فى خلاصته تنمية للروح العلمى فى الطالب وتعويده الاتزان والحذر مما يسهل عليه مهمته عاجلا وآجلا ، ويجنّبه ضياع الأتعاب هدراً هنا وهناك – انه الدليل على اقرب طريق الى الحقيقة .

البحث مثل غيره من مظاهر النشاط العقلي والعملي فى الحياة ، يقتضي فى صاحبه استعداداً وصبراً وذكاءً واستمتاعاً بالعمل . وإلا ، فلا يمكن لامرئٍ أن يدّعي البحث ولا يجدر به أن يخوض معمعانه دون ان يكون مزوّداً بالشرائط الفطرية والمكتسبة فى المبدأ والمنتهى .

تتقرر مقدرة الباحث الأولى فى التقصي والصبر على الجمع والمناقشة وعرض نتائج البحث عرضاً بيّناً واضحاً يحقق فى القارىء الهدف الذى سعى اليه ويبلغه النتائج التى توصل اليها هو ، فى جو من الموضوعية (أو العدالة) وبنفاذ من الحجة والرأي ، وقوة فى الشخصية والتكوين .

ويستطيع الباحث الحق أن يعرب عن نفسه فى كل موضوع يتناوله – ضمن دائرة اختصاصه – صغيراً أم كبيراً ، ضيقاً أم واسعاً ، سهلاً أم صعباً . وهو يؤدي فى أيٍّ من ذلك خدمةً فى التحري والاستقصاء والاكتشاف . وقد يجد فى موضوع يُرى غير ذى أهمية عناصر مهمة ، وقد يخرج بالمحلية الى مدى أوسع ، تلتقى نتائجه فيه بنتائج نظرائه فى الأمم الأخرى .

أمّا إذا اختار منذ البداية موضوعاً صعْباً ذا بعد إنساني فى الفكر والحضارة والرابطة البشرية ، وسار به كما يقتضي المنهج وكما تتجلى أصالته ، ففى ذلك خير على خير ، ولعله الأولى . بل إنه .

يطلب هذا ، ويقرر فى كل باحث ، إما فى الباحث الأدبي فيطلب منه – زيادة على ذلك – أمر خاص ينبثق من أنه يتعامل مع النصوص الإنشائية الفنية من شعر وخطابة ورسائل ... وقصص عليه أن يغوص وراء حروفها، ويلتقي والمبدعين فى عواطفهم وأخيلتهم وأفكارهم كأن لم يفصله عنهم حاجز

من الزمان والمكان • ولا يتيسر هذا لكل من تصدى للبحث ، وإذا تيسر فلا يؤاتي طالبيه على أقدار متساوية • ومن هنا كان الباحث الأدبي الحق نادراً جداً ، لأنه يجب أن يكون ذا موهبة خاصة ـ ولم لا ؟ ـ في استرداد الماضي ومعايشته وفهمه وسبر أغواره مع ذوق سليم (جداً) ونظر بعيد يرتفعان به عن « أكداس » المادة المجمعة او يبعدان به عن طريقها إلى مواجهة اسرار التكوين الفني والوقوف من العبقرية أو النبوغ موقف الواثق من نفسه ومن مهمته ـ وكدت أقول ـ موقف الند •

واذاً ، فهناك باحثان : باحث له الصبر على الجمع تقف به قدراته عند هذا • وهو ذو فضل ، ولكنه ليس الباحث الباحث • وباحث يجمع ويناقش وينفذ إلى الأسرار ويأتي بالجديد وهو الباحث المطلوب فى كل ميدان ؛ ويشترط ميدان الأدب فيه الذوق السليم •••

ولا يعرف الفرق بين باحث وباحث إلا في المجتمع الذى يمثل التأليف فيه مكانا مرموقا ، قديما كان أو حديثا • ألم نرث عن الحضارة العربية حكما سديداً يقول : « لا ينبغي لمصنف يتصدى لتصنيف أن يعدل عن غرضين : اما أن يخترع معنى وإما أن يبتدع وضعاً ومبنى • وأما سوى هذين الوجهين فهو تسويد الورق » ـ (رواه ، فيمن روى ، السيوطي ـ آداب التأليف ص١٦) •

والعامل الزمنى مهم فى البحث ـ على أيّ حال ، وليس من الباحثين من يسرعون فى عملهم ، لأنهم فى ذلك لا يجمعون كلّ ما يجب ، ولا يجمعون بدقة على ما يجب • وليست المسألة ـ بعد ذلك وقبله ـ مسألة الجمع ، وإنما هى مسألة الملازمة أو المعايشة ، وهذه تشترط « طول » الزمن ليختمر الموضوع ، وينضج ، ويصبح جزءًا لا يتجزأ من وجود صاحبه، معه فى إقامته وسفره ، ويقظته ونومه •

ومن هنا رأينا الجامعات المحترمة تضع للبحث حدّاً أدنى ، وتجعل الحد الأدنى للبحث العميق أمداً غير قصير • ونرى من الغربيين من يمضى السنين والسنين فى إعداد بحثه ، وهو يفخر بطول المدة التى يمضيها فى

عمله وطول المدة التي يحصل بها على الدرجات العلمية العالية كالدكتوراه .

أما نحن فننظر الى الأمور أحياناً نظراً معكوساً أي غلطاً ، فنفخر بقصر المدة ونمدح بها ، ويزداد الفخر والمدح كلّما بالغنا في التقصير . وكان علينا أن نسأل : ترى هل استطاع صاحبنا أن ينفذ إلى الأسرار ؟ وهل عاش الموضوع الزمن اللائق ؟ فاذا كان الجواب سلباً ، فما عسى أن تكون قيمة البحث « السقيط » بعد ذلك !

ولابد من أن يعرض البحث ـ استكمالاً للشرائط ـ بلغة سليمة وعبارة جيّدة يرتاح لها القارىء ويأنس بها .

والباحثون منازل إزاء اللغة ، ومنهم من يضيق بالحد الأدنى من السلامة ، وهذا نقص دون شك . ومنهم من أوتي حظّاً في امتلاك ناصية اللغة ، وهذا كمال دون ريب ، فلا يطلب من الباحث أكثر من ذلك ، وإذا طُلب فقدْر حبيب من الطراوة والجمال في الحدود التي لا يطغى فيها « الفن » على الحقيقة . لأن المطلوب من الباحث أن يقدم الحقيقة كما هي أي كما أدركها لدى الجمع والمناقشة الضرورية والمعايشة والغوص ، مشفوعة بالحواشي الذكية والإشارات الضرورية الى المصادر التي تقوي الحقيقة وتوطدها .

اذاً ، قد يتهيأ للباحث قدر مناسب من جمال الأداء اللغوي . وقلّما يتهيأ أكثر من هذا القدر . ولا بأس ، ففيه الكفاية والطلب . ولا يفترض في الباحث أن يكون أديباً منشئاً مبدعاً بالمعنى الذي يفترض في أهل الصناعتين : الشعر والكتابة الفنية .

لا يُفترض ، ولا يطلب خشية أن يذهب هذا الباحث بعيداً عن الحقيقة ، وخشية أن يتكلف ويفتعل ما ليس له .

على أنه إن تهيأ هذا القدر الأكثر فأهلاً به على صعيد آخر ، إذ اننا نحتاج أحياناً الى أن نتخفف من القيود الصارمة ومن الحواشي والإحالات ومن التزمت والجفاف ، وذلك عندما نريد أن نخرج بالبحث ـ أو بنتائجه

إن شئت – عن المحيط الجامعي الضيق ونهيء له عالما أوسع من القراء ؟ وهذا يستدعي منّا مرونة فنية • وقليلون جداً أولئك الباحثون الذين يستطيعون أن يدَعوا جانباً بحثهم فى تفصيلاته وحواشيه وتعليقاته والإشارة الى الأجزاء والصفحات والطبعات والاختلافات ••• ثم يمسكوا بقلمهم ويعرضوا من ذلك البحث المطروح كما استقر فيهم ، أقوى ما فيه ، بثوب جديد جميل ، فيخف على ألسن الآخرين وأسماعهم وأذهانهم ، وتستطيبه نفوسهم إذا تلامس جمال الأداء مع جمال الحقيقة •

وليس هذا بحثاً لدى الدقة في العرف الجامعي ، ولكنه بحث مبسّط • وليكن ، فان بنا حاجة الى مثله •

هذه القابلية المنشئة التي هي ليست من سمات الباحثين – وان توافرت لدى عدد محدود نادر منهم – تتهيأ لأشخاص آخرين لا نسميهم باحثين ، وليس لديهم شيء من صبر الباحثين وطاقتهم في ملازمة عشرات الكتب وإمضاء عشرات الساعات فى المكتبات ، كأنهم عوّضوا عن هذا الضرب من الجهد بضرب من الشاعرية • ونحن اذ نحرم عليهم ولوج دنيا البحث او ادّعاء البحث لا نريد أن نخسرهم أو أن يبقوا بعيدين كل البعد عن الدائرة • إنهم ليسوا باحثين ، ولا ينهضون بأعباء البحث ، ولكنهم يمكن أن يسهموا في النتائج أو أن نسلمهم النتائج وديعة بأيديهم ، ونطلب اليهم أن يوصلوها الى جمهور أكبر ، ونترك لهم حرية التصرف بالعرض بشرط الحرص على الجوهر •

وبهذا يؤدي الباحث خدمة جديدة إذ يهيىء مادة تغذّي مواهب من نوع خاص فيها الشاعر والقصاص وكاتب المسرحية وكاتب المقالة الفنية •••

وتتعاون الأطراف على خدمة الحقيقة وإذاعتها كلاً بما هو ميسّر له •

والباحث الحق هو الذي يقدم هذه الثمرات من الحقائق أيام الطلب

وهو يسعى الى الليسانس أو الماجستير او الدكتوراه ، وبعد أيام الطلب وهو أستاذ او عامل فى أي ميدان من ميادين التخصص ، يظل يصل الجهد بالجهد ، يؤلف وينشر لا يرى المتعة ولا يحس بالقوة اِلا فى ذاك .

وهذا هو الغالب فى شأن الباحثين فى العالم المتمدن .

واِذ نذكر ـ فى الختام ـ أن البحث مظهر حضاري ، نتذكر ان المنهج قرين البحث بل انه السبيل اِلى نجاحه ، ولا يكون ولا يعرف ولا يقدر اِلاّ فى المجتمع الأكثر حضارة . وكأن المنهج أصعب من البحث نفسه ، أو انه هكذا كان ويكون ، ولكن التجارب واتصال الخبرات جعلته والبحث امراً واحداً ، فاِن قلت فى تلك المجتمعات : بحث ، قلت : بحث ومنهج ، ولا يذهب ظن الى الفصل أو الازدواج .

مراجع نافعة

(١)

بدوى (عبدالرحمن) ـ مناهج البحث العلمى ، القاهرة (دار النهضة ، المطبعة العالمية) ١٩٦٣ .

رستم (أسد) ـ مصطلح التاريخ ، ط ٣ ، بيروت (منشورات المكتبة العصرية) د.ت (١٩٦٦ ؟) (كانت الطبعة الاولى سنة ١٩٣٩) .

شلبى (احمد) ـ كيف تكتب بحثا او رسالة ، القاهرة ، ط ٦ منقحة ومزيدة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٨ (كانت الطبعة الاولى سنة ١٩٥٢) .

عثمان (حسن) ـ منهج البحث التاريخى ، القاهرة (دار المعارف) ط ٣ منقحة ١٩٧٠ (كانت الطبعة الاولى سنة ١٩٤٣ والثانية ١٩٦٥) .

ملحس (ثريا عبدالفتاح) ـ منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين بيروت (منشورات دار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر) ١٩٦٠ .

وتدل هذه الكتب على عدد مهم من المراجع ولا سيما الانكليزية كما اثبتها الكتاب الثالث والخامس .

(٢)

برجستراسر ـ أصول نقد النصوص ونشر الكتب (محاضرات القاها المستشرق الالمانى برجستراسر بكلية الآداب في القاهرة سنة ١٩٣١ ـ ٣٢) اعداد وتقديم الدكتور محمد حمدى البكرى ، القاهرة (وزارة الثقافة ـ مركز تحقيق التراث ، مطبعة دار الكتب) ١٩٦٩ .

المنجد (صلاح‌الدين) ـ قواعد تحقيق المخطوطات (الطبعة العربية الثالثة) بيروت (دار الكتاب الجديد) د.ت .

هارون (عبدالسلام) ـ تحقيق النصوص ونشرها ، القاهرة (مؤسسة الحلبى وشركاه ، مطبعة المدنى) ط ٢ ، ١٣٨٥/١٩٦٥ (كانت الطبعة الاولى ١٣٧٤/١٩٥٤) .

(٣)

ديكارت ـ المقال عن المنهج ، ترجمة محمود الخضيرى ، القاهـرة ١٩٣٠ .

لانجلوا وسينوبوس ـ المدخل الى الدراسات التاريخية ، ترجمه الدكتور عبدالرحمن بدوى ونشره مع مواد اخرى فى كتاب النقد التاريخى ، القاهرة (دار النهضة العربية) ١٩٦٣ .

لانسون وماييه ـ منهج البحث فى الأدب واللغة ، نقله الى العربية الدكتور محمد مندور . بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٤٦ . ثم طبع ملحقا لكتاب الدكتور محمد مندور ـ النقد المنهجى عند العرب ، القاهرة ١٩٦٩ .

هرنشو ـ علم التاريخ ـ ترجمة عبدالحميد العبادى القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر . مط . لجنة التأليف ...) ١٩٤٤ (مقدمة المترجم بتاريخ ١٩٣٧) .

(٤)

ابن الصلاح (أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمن الشهرزورى المتوفى سنة ٦٤٣) ـ علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح . تحـ . محمد راغب الطباخ الحلبى ، ط ١ ، المطبعة العلمية بحلب ١٣٥٠/١٣٩١ .

وطبع بعنوان مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث ، بمبى ، المطبعة القيمة ١٣٥٧/١٩٣٨ .

السخاوى (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن المتوفى سنة ٩٠٢) ـ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . تحـ . فرانز روزنثال . ترجم التعليقات والمقدمة واشرف على نشر النص الدكتور صالح احمد العلي . بغداد ، مطبعة العانى ١٣٨٢/١٩٦٣ .

وطبع قبل ذلك بدمشق ، مطبعة الترقى ١٣٤٩ .
السيوطى (جلال الدين عبدالرحمن المتوفى سنة ٩١١) ـ التعريف بآداب التأليف ، تحـ . عبدالصبور مرزوق ، القاهرة ، نشر ملحقا بمجلة الكتاب العربي .

(٥)

فرانز روزنثال ـ علم التاريخ عند المسلمين ترجمة الدكتور صالح احمد العلي ، مراجعة محمد توفيق حسين ، بغـداد (نشـر بالمشـاركة مع مؤسسة فرانكلن للطباعة والنشر ، مكتبة المثنى ، مطبعة العانى) ١٩٦٣ .

فرانتز روزنتال (المؤلف السابق نفسه) ـ مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ، ترجمة الدكتور انيس فريحة ، مراجعة الدكتور وليد عرفات ، بيروت (نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلن للطباعة والنشر ، دار الريحاني للطباعة) ١٩٦١ .

(٦)

Bouvier et Jourda - Guide de l'Etudiant en Littérature, cinquième édition, Presses Universitaires de France, Paris 1964.

Capitant (Henri) - La Thèse de Doctorat en Droit. Paris, 4e éd, Librairie Dalloz, 1951.

Descartes - Oeuvres Philosophiques, tome I (...Discours de la méthode) Paris, Garnier, 1963.

ونشرته دار Hatier مستقلا في سلسلة Nouveaux Classiques المدرسية .

L'Histoire et ses méthodes, volume publié sous la direction de Charles Samaran, Paris, Gallimard (Encyclopédie de la Pléade) 1961.

Huisman et Plazolles - L'Art de la Dissertation Littéraire, Paris, Sedes, 1960.

Langlois et Seignobos - Introduction aux Etudes Historiques, Paris Hachette, 1897.

وهو مترجم الى الانكليزية :

Introduction to the Study of History, trans. by G.B. Berry. London, 1912.

ونقل الدكتور عبدالرحمن بدوى اكثره الى العربية في كتاب عنوانه : النقد التاريخي .

Lanson - Les méthodes de l'histoire litteraire, dans la méthode dans les Sciences, 2e série, 1911 et 1924.

- Méthodes de l'histoire litteraire "Les Belles Lettres," Paris, 1925.

Larousse du XX^e Siecle. Paris (Librarie Larousse).

(7)

Blachère et Sauvaget - Régles pour Editions et Traductions de Textes Arabes. Paris "Les Belles Lettres" 2^e edition, 1953.

(8)

1. Barzum, Jacques and Graff, Henry F. - The Modern Research. Harcourt, Brace and Company. New York, 1957.
2. Campbell, William, G. - Form and Style in Thesis Writing, Boston, Houghton Mifflin, 1954.
3. Cecil, B. William and Allan H. Stevenson - A Research Manual for College Studies and Paper. Revised edition, Harper & Brothers publishers, New York, 1951.
4. Elliott & Cordasco - University Handbook for the Research and Report Writing, Michigan, Edward Brothers, 1946.
5. Lycyle Hook & Marry Virginia Gaver - The Research Paper, Printice-Hall, INC, New York, 1948.
6. Turabian, Kate L. - A Maual for writers of Term papers, Theses, and Dissertations, The University of Chicago Press, Chicago & London.

يمكن لدى الحاجة ـ الاستغناء باى كتاب من هذه الكتب عن الاخرى ٠ وتنص الجامعة الامريكية ببيروت على كتاب (Turabian) ورأيت الكتاب الخامس جيدا ـ على قدمه ٠

الفهـرس

١٩٧٠/١٠/٢٤/٢٠٠٠

ALI JAWAD AL-TAHIR
Docteur ès Lettres

LA MÉTHODE DE LA RECHERCHE LITTÉRAIRE

Baghdad
Imprimerie D'Al-'Ani

1970